

حفريل



الإخوان المسلمون:
هكذا تأسست بنية
الجماعة على العنف

أحمد بان: جماعة الإخوان شرّعت العمليات الإرهابية





حاوړه: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

ما إن صعّدت جماعة الإخوان المسلمين إلى سدّة الحكم في مصر، وظنّنت أنّها أمسكت بتلابيب لحظة التّمكين التي حفلت بها أديّياتها، حتّى أطاحت بها الجموع الهادرة، وتمّ تقديم قياداتهم المتطرفة إلى القضاء، وخفّت نجمها بعد أن سطع لنحو عامين، إلّا أنّ مستقبلها ما زال يلفّه الغموض؛ بين من يرى أنّها تشظّت وتشرذمت وأوشكت على الموت الإكلينيكيّ، ومن يرى أنّها قد تعود في ثيابٍ جديدةٍ.

ربّما يؤمن أصحاب الرّأي الأخير بأنّ تلك الجماعة عصيّة على الاندثار، مستندين إلى شواهد تاريخيّة، وجينات بنويّة يتمتّع بها التّنظيم، وهي التي دخلت في صدامات سابقة مع المجتمع المصري والنّظم السياسيّة، منذ الملكيّة حتّى الآن، ومع ذلك؛ فهي تخرج في كلّ مرّة، كـ «قط بسبعة أرواح»، بعد أن يظنّ الجميع، في كلّ مرّة، أنّه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك.

حاولنا استشراف مآلات جماعة الإخوان ورصد أوضاعها الراهنة، مع الخبير المصريّ في شؤون الجماعات الإسلاميّة أحمد بان؛ الذي يتوقع في حوارهِ مع «حفريات» بأنّ تلك الجماعة قد يفضي بها الحال إلى تكوين

” الجماعة ليست مؤهلة للحكم، ولم تربّ كوادر

“ قادرة على إدارة الدولة المصريّة

مذهبٍ جديدٍ على أنقاض الادّعاء بالمظلوميّة، بعد أن نجحت هذه المرّة، أيضاً، في تحويل فشلها إلى محنة وابتلاء، حتّى تتجنّب الصّراعات الداخليّة وموجات المساءلة والحساب من قبل أعضائها ومن جانب المجتمع المصري.

هنا نصّ الحوار:

*رغم تعرّض جماعة الإخوان المسلمين لنكبات كبرى عبر تاريخها، إلّا أنّ هذا التّنظيم كان لديه القدرة، في كلّ مرّة، على إعادة إحياء نفسه، والعودة في شكل جديد. فما هي الشفرة التي يمتلكها حتّى يعيد صياغة نفسه في كلّ مرّة يتعرّض فيها للخناق المطبق، أم يرجع ذلك لمكوّنات ما في بنيته الفكرية والتنظيمية؟ وهل يمكن أن تكمن الجماعة حتّى تتتهز الظروف المناسبة لتقفز في حضن المجتمع والدولة مرّة أخرى، أم إنّ الظروف التاريخيّة السابقة لن يكون لها وجود في المستقبل؟

تاريخياً، استطاعت جماعة الإخوان أن تهضم مواجهة الأنظمة لها، وهذا، في تقديري، عائد لسببين؛ الأوّل: أنّ حسن البناء، مؤسس الجماعة، كان يتوقّع منذ البداية، أنّ فكرته «جالبة للصّراع مع الأنظمة والمجتمعات»، وأنّه سيدفع، هو وجماعته، بجانب ذلك كلفة باهظة، لقد كان يقول ذلك

” خلق التقيّة في مواجهة المجتمع كان حاضراً باستمرار داخل الإخوان المسلمين وهناك من

يمارسها داخل التنظيم نفسه

بوضوح، وقبل أن تحدث حالة التضييق عليه وعلى جماعته، وقبل حصار حركته، كان يقول: «ما زالت دعوتكم مجهولة بين الناس، ويوم يعرفونها، ويدركون مراميها، ستلقى منهم عداوةً شديدةً، وستدخلون في طور الامتحان». لقد كان نجاح هذا الرجل في أنّه حوّل فكرة الفشل إلى ابتلاء في وعي الأفراد من وقت مبكر، فالفشل الذي هو «نتاج طبيعيّ لسلوك طريقٍ خاطئٍ يستدعي المساءلة، والمراجعة، وإعادة النظر في الأفكار والسلوك» أغلق البنا الطريق عليه باكراً، قبل حدوثه، فكان التنظيم دائماً ما يصف نتائج الصدام مع المجتمع والسلطة بـ«المحنة» التي يدّعي أنّ مردّها جهل الناس بحقيقة الدعوة، وغربة الإسلام، وأنّ هذه الجماعة أتت لهذه الدنيا كي تعيد تأسيس الإسلام في هذه الحياة، بالتالي، فإنّ جهل الناس بحقيقة الدين سيستجلب العداوة والرفض.

هذه هي المحنة الحقيقية لأصحاب الدعوات، وهي متّصلة بكلّ ما واجهه أصحاب الدعوات الأيديولوجية تاريخياً، بهذا أغلق طريق المراجعة بهذا المفهوم من البداية؛ لأنّه حصّن أتباعه بفكرة «المحنة»، لقد كانت هذه الفكرة هي «الميكانيزم» الذي لجأ إليه «البنا»، ومن تبعه فيما بعد، لغلّق باب المراجعة والتأمّل والاعتراف.

أما مجموعة النظام الخاص التي سيطرت على الجماعة من بعده فقد عززت هذه الفكرة، فأذكروا أنّ وجودهم في السجن «جزاءً وفاقاً» لما فعلوه في الساحة المصريّة؛ بل محنة حقيقيّة تتعلّق بأصحاب الدّعوات، في مواجهة المجتمعات الجاهليّة التي لا تعرف شيئاً عن إسلامها الحقيقيّ، وهذه الفكرة بُنيت عليها أعمالٌ معرفيّة وإعلاميّة، وسوّقت دولياً على اعتبار أنّ الإخوان هم أصحاب أكبر مظلوميّة في التاريخ، وكأّتهم «أصحاب الأخدود» في العصر الحديث، الذين لديهم استعدادٌ لأنّ يُحفر لهم في الأرض، أو يُنشروا بالمنشير؛ لأنّهم متمسّكون بعقيدتهم، وليسوا متمسّكين ببرنامج فكريّ وسياسيّ مناهض للأنظمة وللمجتمعات.

***إذاً، هل ترى أنّ التنظيم كان يدرك، ولو في عقله الجمعيّ، أنّ المظلوميّة تستجلب التعاطف الطّاعي على العقل غير المتدبّر للواقع والسيّاقات المؤدّية إليه بتجرّد، خاصّة، في مصر والمنطقة العربيّة والإسلاميّة؟**

نعم، وهذا هو صلب النّقطة الثّانية، التي تتعلّق بطبيعة الشّعب المصريّ، على وجه الخصوص، الذي يعدّ من أكثر الشّعوب تعرّضاً للظلم تاريخياً نتيجة للفشل النسبي في خطط التنمية الحكوميّة، فقد حدثت التّغذية المتبادلة بين مظلوميّة الشّعب ومظلوميّة الجماعة، فبات هناك نوعٌ من التّفاعل المتبادل؛ فالجماعة كانت تبعث إشارتها إلى الشّعب، وكانت فحواها «نحن نتعاطف معكم، ومع مظلوميّتكم، ونريد أن نستنقذكم ممّا

خلق التقيّة في مواجهة المجتمع كان حاضراً باستمرار داخل الإخوان المسلمين وهناك من

يمارسها داخل التنظيم نفسه

أتمر فيه»، وهذا الشعب تعاطف أحياناً مع الجماعة؛ لأنّه ظنّ، لفترات طويلة، أنّها تحاول أن تحرّره من الفساد والظلم عبر دولة الشريعة أو دولة العدالة الإسلاميّة التي يعدهم بها الإخوان.

* وهل ما زالت هذه الحالة حاضرة؟

لا، كان هذا قبل مرحلة وصول الجماعة للحكم؛ فهناك فاصل مهمّ يفصل لحظة ما قبل ٢٠١٣ وما بعد ٢٠١٣، أو تحديداً؛ ما قبل ٢٠١٢ وما بعد ٢٠١٢

* ما الذي حدث وفصل بين المرحلتين؟

الذي طرأ أنّ الإخوان وصلوا لامتلاك الحكم بشكل شبه كامل، وليس مجرد مشاركة فيه؛ فقد سيطروا على مقاعد البرلمان بالكامل، بأغليّة تصل إلى ٧٠٪ من مقاعد البرلمان، بغرفتيه (الشعب والشورى)، والمنافسة على مقعد رئاسة الجمهوريّة والوصول إليها، فأضحى هناك رئيس من جماعة الإخوان للمرّة الأولى، ومع كلّ الدعاية التي يسوّق لها التنظيم في أنّه أفضل،

ولم يُترك للتجربة أن تتطور، إلا أنّ هذه التجربة، في وعي قطاعات واسعة من الإخوان، كانت فاشلة، ليس بمنطق أنّ الدولة العميقة أفشلتها، لكن بمنطق أنّ الجماعة ليست مؤهلة للحكم، ولم تربّ كوادراً قادرة على إدارة الدولة المصريّة، ولم يكن لديها الفقه السياسيّ الذي يمكنها من إدارة دولة بحجم مصر وتعقيدها، وتعقيد هذا الإقليم، وتعقيد هذا العالم. هذا الفشل شعرت به قواعد الجماعة كما شعر به المجتمع المصريّ، لكن ما أفاد الجماعة هو، في رأيي، «فضّ رابعة» بهذه الطريقة التي وفّرت للجماعة غطاءً من المظلومية المدعاة لتبرر فشلها في الحكم، وفي ظني أنّ الدولة لو لجأت إلى التدابير الأمنية الناعمة لانتهدت أسطورة هذه الجماعة، تنظيماً وفكراً.

***هل اعتصام «رابعة» لديه القدرة على الدّفْع بدماء جديدة في شريان الإخوان المتجلّط؟ وهل تكفي بمفردها لعودتهم مرّة أخرى إلى الفضاء العام، أيّاً كان شكل تصوّر هذه العودة؟**

يمكننا أن نتحدّث عن إخوان ما بعد رابعة، الذين هم إخوان ما قبل رابعة، كما فرّقنا قبل ذلك بين الإخوان قبل وصولهم للحكم، والإخوان بعد وصولهم للحكم؛ لأنّ «رابعة» فتحت مسارات جديدة للحركة، كانت تلك الحركة ودّعته في السابق، وأغلقت مساراتها، التي هي مسارات العنف الجديد، الذي نشأ أعقاب «الفضّ» تحت مظلة الثأر.

*دعنا نتحدث عن التصوّر المبدئيّ لعودة الإخوان قبل أن ننخرط في الحديث في محور العنف. هل يمكن أن تشرب الجماعة ماء الحياة، وتدبّ فيها الرّوح من جديد؟ وهل هذا وارد في المعيار التاريخي، أم إنّ الظّرف الاجتماعيّ، حتّى داخل الحركة نفسها، لم يعد يتّسع لذلك؟

دائماً ما ساهمت طبيعة إدارة السّلطة للصّراع في إطالة عمر التّنظيم وفكره. عبد الناصر رغم أنّه وقف في وجه الحركة بشكل قويّ، إلّا أنّه طرح إلى جانب المواجهة مشروعاً استطاع أن يسحب به قطاعات حتّى من داخل جسد الإخوان، وكان له دورٌ واضحٌ في تبنيّ قادة من النّظام الخاصّ في الإخوان لأفكاره ومشروعه، واتّخذ منهم وزراء مثل؛ أحمد حسن الباقوري، وعبدالعزيز كامل، هذه أسماء برزت على السّاحة المصريّة، والتيّار الإسلاميّ، وواصل (السّادات) هذه السّياسة، حتّى إنّهم أدخلهم في بنية الدّولة أيضاً. أمّا (مبارك) فكانت لديه مقاربةٌ في تحديد سقف الحركة؛ إذ كان هناك اتّفاقٌ بين الاثنين، وشروطٌ على الطرفين ألا يتجاوزها، لكنّهم كانوا يحاولون، في أوقات معيّنة، توسيع هامش الحركة، بعدها كان النّظام يأخذ إجراءات ضدّهم لترجعهم للخطوط الخلفيّة.

*لكنّ «يناير» أحرقت كلّ تلك الخطوط، هل هكذا تصوّر قادة الجماعة؟

«يناير» طرحت واقعاً جديداً، تصوّرت في غضون جماعة الإخوان أنّ

الأبواب قد فُتحت، بالتالي، نظرت إلى الرّحم السياسيّ في أعقاب «يناير»، وذهبت للدّفع بتأسيس عدد كبير من الأحزاب المعبّرة عن عددٍ من تيارات الحالة الإسلاميّة، وسيطرت جماعة الإخوان على غالبيّتها؛ ففي هذه المرحلة تصوّرت جماعة الإخوان، بطفوليّة مدهشة، أنّها قادرة على أن (تظّهّر) كلّ هؤلاء لصالحها، على كلّ تبايناتهم وشكوكهم نحو الإخوان وشكوك الإخوان تجاههم، وشكّلت ما سمّي «الهيئة الشرعيّة للحقوق والإصلاح» كي تمثّل معسكراً إسلامياً في مواجهة المعسكر المدنيّ، واستبطن المسألة بهذه الطريقة كان من أدبيّات النظام الخاصّ الذي امتدّ، إلى هذه اللّحظة، في أدبيّات القطبيين الذين أداروا الصّراع.

* أنت ترى أنّ جماعة الإخوان كانت تعيش في مأزق كبير قبل

«رابعة»، هل كانت على وشك السّقوط التلقائيّ؟

قبل «رابعة» كانت الجماعة في مأزقٍ كبيرٍ جدّاً بعد إزاحة الإخوان من الحكم، عبر إجراءات واضحة في ٣٠ يونيو، اعتبره المفكّر السيد ياسين بمثابة «انقلاب شعبيّ»، وهي تسمية دقيقة؛ فهي انقلابٌ لكنّه شعبيّ، لم تستطع القوات المسلّحة أن تنقلب على سلطة مدنيّة منتخبة، إلّا إذا كانت ترى جمهوراً عريضاً تمتلئ به السّاحات والميادين. أمّا الإخوان والقيادات فكانت تدرك أنّ هناك تحوّلاً حدث في الشّارع. لكن أريد أن أعود إلى مرحلة ما قبل فضّ الاعتصام؛ ففي هذا الاعتصام كان هناك سؤالٌ كبيرٌ يتردّد في أوساط الجماعة؛ هو «ما الذي جاء بنا إلى هنا؟ ألم نكن بالأمس في قصر

” فضّ اعتصام رابعة بعنف وقرّ للجماعة غطاءً من المظلومية المدعاة كانت تبحث عنه لتبرر فشلها في الحكم

الحكم؟» هذا السؤال كان يتردد داخل «رابعة»، وهنا استحضرت ثنائيّة (المحنة والفشل)؛ فقيادة جماعة الإخوان حوّلوا القضية برمتها إلى محنة تحمي التنظيم، لكن أيّ نظام كان من المفترض أن يكون معنيًا بأن يبرز القضية باعتبارها فشلًا للإخوان، وليست محنة من السماء تتعرّض لها.

* لكنّ تلك التّنظيمات وضعت الدّولة برمتها في خيارات صعبة، فلم يكن هناك ترف لتميع فضّ الاعتصام بعد حضور شبح الحرب الأهليّة وانفراط عقد الدّولة؟

أنا لا أتحدّث عن عدم فضّ الاعتصام، أنا أتحدّث عن فضّ الاعتصام بالقوّة، وبهذا الشّكل الذي حدث، فأنا كنت ممّن كتبوا قبل فضّ الاعتصام مقالاً بعنوان «لا تمنحوهم مظلوميّة جديدة»؛ لأنّ الإخوان كانوا بحاجة ماسّة إلى هذه المظلوميّة لتغطي على فشلهم في الحكم.

*ماذا؟

لأنّ هذه المظلوميّة وحدها كانت كفيلة أن تقطع دابر السؤال: «من الذي جاء بنا إلى هنا؟»، لكنّ الفصّ بطريقة ناعمة كان سيمنع حصول

الإخوان على المظلوميّة، والدّولة كانت تملك عناصر كثيرةً جدّاً، ولديها القدرة على تفريقه من الدّاخل.

*إذن، أنت ترى أنّ الدّولة فقدت صبرها باكراً؟

لقد غاب العقل في إدارة المشهد، فبدت الدّولة وكأنّ تحرّكها سلطة وهيبة، وأنّ سلطتها هذه تتميّع في مواجهة اعتصام على مرمى حجرٍ من وزارة الدّفاع، فهي كانت مدفوعة بهذه العقلية، فعقل الدّولة إذا تعرّض للسّخونة، فدائماً ما يتّخذ قرارات مندفعة.

فالدّولة تسعى دائماً إلى تبريد عقلها كي تأخذ قراراتها الصحيحة والمحسوبة بإتقان، وتقارن بين العائد والتّكلفة، وهذا لم يحدث في هذه اللّحظة، فبدأت المظلوميّة، هنا، تحقّق أهداف قادة التّنظيم، هم حصلوا على مظلوميّة تبرّر فشلهم، وتقطع الطّريق أمام سؤال المراجعة أو المساءلة للقيادات التي أخذت التّنظيم من قصر الاتحاديّة إلى الاعتصام في ميدان رابعة.

*لو أنهت الجماعة الاعتصام بشكلٍ سلميٍّ وغير عنيف، لتعرّضت

لنوع من المساءلة. أهذا ما تقصده؟

ليس مجرّد مساءلة؛ بل سينشأ داخل الجماعة صراعٍ داخليٍّ ضار.

*** لكنّ الجماعة حاولت أن تقفز على هذا للدّخول في صراع مع الدولة واكتساب المظلوميّة التي ستغطّي على التّساؤلات؟**

لم تكن تغطّي؛ بل تحوّل ذلك إلى محنة وإيهام بأنّهم كانوا يسرون في الطريق الصحيح، وهناك من ذهب لقطع هذا الطّريق.

*** لكن، مع مرور الوقت، هل تظّل هذه المظلوميّة ناجعةً في اعتماد الجماعة عليها لمواصلة الحياة؟**

قبل هذا، كانت المظلوميّة سلاحاً ممتدّ المفعول، يمكنه الصّبر لمدة ٣٠ عاماً أو يزيد، لكن هذه المرّة ستظّل المظلوميّة خمسة أعوام لا أكثر، في تقديري، ويفقد هذا السّلاح أثره، بديل أنّ هناك من بدأ في تجاوز «رابعة» داخل الجسد الإخواني الآن، خاصّة الرّعاة الإقليميين الذين حاولوا ركوب هذه المظلوميّة واللّعب عليها، لقد فقدوا، الآن، حماسهم لها تحت وضع تحدياتٍ إقليميةٍ أعقد، فهناك موقف حماس، مثلاً، الذي أحدث مشكلاتٍ داخل قواعد الإخوان.

*** هل ترفض الجماعة حتى الآن، وبشكل رسميّ، تبنيها للعنف على يد بعض المجموعات التي رفعت السّلاح في مواجهة الدولة؟**

ماذا تقصد بالجماعة؟ الجماعة لم تعد جماعة واحدة؛ فقد توسّعت

فعلياً إلى قسمين: الأول: تصرف كحركة تعمل وفق المتاح، عندها استعداد لأن تعمل تحت مظلة أي نظام سياسي، كما عملوا تحت سقف (مبارك) بنفس البناء مع تعديلات طفيفة في لائحتها، وتبقى السلطة المطلقة والشكل الهرمي قائمين، دون أية إصلاحات تُذكر، وهؤلاء سيطروا على ستة وعشرين مكتباً إدارياً للجماعة داخل مصر تقريباً، من أصل واحد وأربعين. أما المجموعة الأخرى، التي كان يتزعمها محمد كمال، عضو مكتب الإرشاد، فقد سيطرت على عدد من المحافظات، إلا أن هذا الجناح تشظى الآن.

*وكيف خرجت أفكار العنف هكذا مرة واحدة؟

فكرة العنف عندما خرجت من داخل معسكر (كمال) لم تكن اختياراً عقلياً هادئاً، بقدر ما تدرجت، شيئاً فشيئاً، حتى وصلت إلى العنف الواضح والمباشر؛ إذ إنها بدأت بلجان ردع، ثم تطوّرت، بعد ذلك، إلى تنظيمات مسلّحة، خرج جزءٌ منها عن السيطرة.

شرعنة العمليات الإرهابية!

*هل كان لديهم أدبيات يستطيعون أن ينهلوا منها في «شرعنة»

العمليات الإرهابية؟

نعم، وقد خطت خطوات أبعد من السياقات القديمة؛ فبدأنا نرى مفردة «الهيئة الشرعية» في خطاب الإخوان، وأنت تعلم أنه مصطلحٌ متداول

” جماعة الإخوان استكملت دورة حياتها،

ومرّت بما يمرّ به الأحياء؛ من طفولة، ثمّ

“

صبا، ثمّ شباب، ثمّ شيخوخة

في أوساط الجهاديين، لا في أوساط الإخوان، حتّى عندما كان سيّد سابق، المنظر الشرعيّ التاريخيّ للتّنظيم، يفتي بقتل أحد، كان يفتي دون أن يوثّق هذه الفتوى، وفي إطار سرّيّ جدّاً، دون أن يعلن هذا. وبات هناك هيئة شرعيّة تصدر بيانات مثل: «بيان الكنانة واحد»، و«بيان الكنانة اثنان»، وتستخدم مفردات مثل: دفع الصّائل، وهي مفردات الحركة الجهاديّة التي ظهرت لدى الإخوان مؤخّراً.

*تاريخيّاً؛ شهدت جماعة الإخوان مثل هذه الحالات؛ فهناك مجموعات رأت أنّها تنتمي إلى الجماعة الأمّ، إلّا أنّها تحاول أن تأخذها في الطّريق القويم، ثمّ تبدأ بالتحوّر، حتّى تصل إلى طورٍ جديدٍ، بعد تشكّل معالمها الخاصّة بها، ثمّ تنفصل عن الجماعة الأمّ، ثمّ تبدو جماعة الإخوان، بعد ذلك، بريئةً من الأعمال العنيفة، وهذا حدث بعد صدام الجماعة مع الدّولة عام ١٩٦٥؟

لم يكن بعد ١٩٦٥ بل من عام ١٩٤٧، عندما لم يعد حسن البنا يسيطر على مجموعة النّظام الخاصّ، وهذه المجموعة التي تدرّبت على السّلاح، كانت قد رفضت سلطته، فأحد قيادات الإخوان قال لي شخصيّاً

إنَّ حسن البنا دخل، ذات مرة، اجتماعاً لمجموعة النُّظام الخاصِّ قبل عبد الرحمن السندي، المسؤول المباشر عن النُّظام، لكنَّ السندي عندما دخل قال: ماذا يفعل هذا الرَّجل هنا؟ كانوا يتمثِّلون قول الشَّاعر: «السَّيف أصدق إنباءً من الكتب...»، فأنتم أصحاب الدَّعوة، ونحن أصحاب الجهاد والفعل. ظلَّت الجماعة طوال تاريخها تنتج ذراعاً مسلَّحاً يتمرِّد عليها بعد ذلك، وما زال هذا الجناح قائماً حتَّى الآن، وأنت لا تعدم في تاريخ جماعة الإخوان الذي يمكن أن يحدثك بأنَّ هذا توزيع أدوارٍ، فعندما يأتي عبدالمنعم عبدالرؤوف، أحد كوادر الجماعة في الجيش، بعد إحالته للتقاعد، ليقول لحسن الهضيبي، المرشد الثاني للجماعة: أنا سأقوم بانقلاب ضدَّ جمال عبدالناصر، وأحتاج إلى ٥٠٠ رجلٍ من الإخوان، فإذا نجح الانقلاب، يمكن لكم أن تتبنَّوه، وإذا فشل تستطيعون أن تتصلَّوا منه، فطوال الوقت كان هذا «الميكانيزم» حاضراً.

*أعلنت حركة «المقاومة الشعبية»، عبر ناطقها الرِّسميِّ، أنَّه أصبح لديها فكرٌ جديدٌ، ومنهجٌ جديدٌ، بعيداً عن جماعة الإخوان، وهذا ما يؤكِّد أنَّ هناك لحظة ما تفصل فيها مثل تلك التَّنظيمات عن الجماعة الأمِّ، وتستطيع الجماعة، بعد ذلك، أن تتبرَّأ تماماً من كلِّ أفعال العنف، ثمَّ تعود مرَّةً أخرى بخطابٍ آخر، في وقت ما، وهذا ما حدث تاريخياً. فما رأيك؟

جماعة الإخوان لم تعترف بالعنف طوال تاريخها.

* لكنّ هناك جماعاتٍ خرجت من رحم محتتها، إن صحّ التعبير،

بدليل شهاداتٍ عددٍ من قادة التّيار الجهاديّ في هذا الشّأن؟

حدث ذلك في الجماعة تاريخيّاً، فظهرت «الطليعة المقاتلة» في سوريا، وكان أبرز نجومها (أبو مصعب السوري)؛ الذي كان من أفراد هذه الطليعة، ثمّ أصبح منظراً جهاديّاً بعد ذلك، فهذا التطوّر كان موجوداً طوال الوقت، حتّى أيمن الظواهري وأبو بكر البغدادي، كانا من الإخوان. لكن أن يعود تنظيم الإخوان الذي يخلط السياسيّ بالدعويّ، فلا أرى أنّهم سوف ينجحون في هذا بنفس نجاحاتهم في السّابق؛ لأنّ هناك متغيّراً طرأ، هو أنّ المجتمع لم يعد قادراً على التعاطف مع مثل هذه المظلوميّة أكثر، فلم يعد هذا السّلاح ناجعاً؛ بل فقد صلاحيّته مع الوقت.

* هل ما زال لدى تلك الجماعة ما تستطيع أن تجنّد به أعضاء

جدداً؟ وهل ما زال هذا المشروع مصدرَ إلهامٍ لشبابٍ وعناصرٍ تستطيع

الجماعة أن تجذبهم في السّابق، أم أنّ روافد التّجنيد خفتت وقلّت؛ لأنّ

العناصر المجنّدة والمفترضة ستري فيها الجماعة الفاشلة في مخيالها؟

أعتقد أنّ الفكرة فقدت الكثير من جاذبيّتها وإلهامها، وهذا، بلا

شكّ، سيؤثّر في عمليّات التّجنيد، فالتّجنيد ليس مرتبطاً بوسائل؛ بل له

صلة أكثر بـ «الجاذبيّة والإلهام». أعتقد أنّ هذا تراجع في نفوس كثيرٍ من

النّاس، حتّى في نفوس قطاعات من الإخوان، وهذا هو الأهمّ؛ لأنّ القلب

المعنيّ بفكرة التبشير بالفكرة قد تخلخت قناعاته، وأدركت قراءات كثيرة للإخفاقات داخل الجسد الإخواني نفسه، وهذا عامل حاسم في المسألة.

الإخوان في الإنعاش

* إذاً، إذا توقفت عمليّات التجنيد فهل يمكننا أن نقول: إنّ الجماعة

ستشهد انقطاعاً جليلاً مستقبلاً؟

في النهاية، إنّ أيّة فكرة لها دورة حياة، وأنا مع أنّ جماعة الإخوان استكملت دورة حياتها، بمعنى أنّها مرّت بما يمرّ به الأحياء؛ من فترة طفولة، ثمّ صبا، ثمّ شباب، ثمّ شيخوخة، ثمّ وفاة. هذه الشّيوخة طالت إلى حدّ كبير، وعاجلتها ظروف الوصول إلى الحكم، ففشلت في إدارته، وفي إدارة الاحتجاج والمعارضة، فجمعت بين الفشلين تحت مظلة تعقيدات دوليّة لها أثرها، بما يؤكّد أنّنا، في النهاية، أمام إرهاصات واسعة لمراجعة داخل جسد الجماعة، تبدو فيها مدفوعة بفشلها من جهة، وبرفض المجتمع تحت أيّة مسوغات من جهة أخرى.

* قلت إنّ جماعة الإخوان لم تراجع نفسها، وإنّ الواقع السياسيّ

هو الذي يحركها، لأنّ الحركة تسبق التّنظير، فهل ترى أنّ ثمة سياقاً

مختلفاً هذه المرّة، أم أنّ المشكلة تكمن في «الجين» الإخوانيّ أو في بنيتها

الفكريّة والتنظيميّة التي تمنعها من ذلك؟

نعود إلى العتبة التي بدأت بها كلامي؛ هل الذي جرى محنة أم فشل؟ لأنّ كل نتيجة ستؤدّي إلى مسارٍ مختلفٍ. فإذا اقتنع العقل الجمعيّ للجماعة بأنّ الذي جرى هو فشلٌ يستدعي إعادة النظر في جملة الأفكار، والوسائل، والأدبيات. إذًا؛ فهم على طريقٍ صحيحٍ للمراجعة، قد تنتج شيئاً جديداً، مع ملاحظة أنّ القيادات في مثل هذه التنظيمات هي التي تقتنع ثمّ ترشّح للقواعد، فإذا حدث، فأنت أمام مراجعة قد تنتج فكراً جديداً، وإذا لم يحدث، وسيقابل بمقاومة شديدة بالقطع؛ فقد تعيد الجماعة إنتاج نفسها في نفس الشكل القديم المتخلف، حتّى إن بقي الجسد ضعيفاً تنظيمياً، إلاّ أنّه قد يؤسّس على ضفاف المظلوميّة لمذهبٍ إسلاميٍّ جديدٍ، تقترب فيه الحالة الإخوانيّة من مشاهد تأسيس المذهب الشيعي، حتّى وإن بقيت أقلّيّة، فإذا استسلمت هذه الأقلّيّة لأجواء المحنة فهذا سيوصلها إلى مذهبٍ دينيٍّ جديدٍ، بالتّالي، لن تنجز مراجعةً، ولن تخرج من مآتها.

وأعتقد أنّ هذا قد يحدث، وقد يحدث معه مجموعة لإنتاج مراجعات تتزايد شجاعتها مع الوقت، ويوجد هنا عاملٌ قد يسارع من هذا أو يبطئ منه، وهو طبيعة اختيارات النظام السياسيّ وأدائه وخياراته، فكلّ نجاح للنظام في النظام السياسيّ سيصبّ في مصلحة هذا.

***وهل يمكن أن تكون هناك معالجة لمظلوميّة الإخوان، سواء**

من المجتمع المدنيّ أو الدولة؟

المجتمع المدنيّ ليس مؤهّلاً لذلك، والنّظام السياسيّ غير راغبٍ فيه؛ لأنّه يميل، دائماً، إلى المقاربة الأمنيّة، فلا أتصوّر أن يكون ذلك عاملاً حاسماً في مواجهة الفكرة؛ إنّما قد يكون عاملاً حاسماً في مواجهة التّظيم.

*أتعتقد أنّ الجسد الإخوانيّ العامّ لم يخطر في العنف المسلّح؟

أنا على يقينٍ بأنّ (٨٠٪) من الجسد الإخوانيّ غادر المشهد بعد فضّ اعتصاميّ رابعة والتّهضة، ولم يخطر في حالة احتجاج، أو في حالة عنف، وأنّ ما يواجه المجتمع المصريّ هو الـ (٢٠٪) المتبقية، الفاعلة والمنقسمة ما بين المؤمنين بمحمود عزّت والمؤمنين بكمال، والأكثرية مع عزّت.

*هل يمكن أن نفسّر هذا بأنّ مجموعات الإخوان التي انخرطت في العنف كان معظمها شباب أعرار؟

نعم، وفشل هؤلاء أكّد لدى المجموعات الأخرى أنّ العنف مساره مغلق في النّهاية.

*لكنّ الجسد العامّ سيدفع الكلفة والقاتورة؟

نعم، لقد دفع، ولا زال، لأنّ الأجهزة الأمنيّة ستوسّع، بطبيعة الحال، من دائرة الاشتباه.

*حدث عند الجميع نوعٌ من الصدمة؛ عندما أتى قادمٌ من الخلف
كمحمد كمال، لا يعرفه كثيرٌ من الناس، ثم مضى يأخذ الإخوان
للعنف، ويشرعن له.

خلق التقيّة في مواجهة المجتمع كان حاضراً، أيضاً، داخل التنظيم؛
فكان هناك مَنْ يمارس التقيّة داخل التنظيم نفسه، وقياداته وعناصره،
وقد حدثت واقعةٌ شهيرةٌ بين مصطفى مشهور ومحمد فريد عبد الخالق؛
إذ وقع بينهما خلاف حول «رسالة التّعاليم»، فقد تفاجأ عبد الخالق بأنّ
مشهور قرّر دراسة «رسالة التّعاليم» للصفّ الإخواني، فقال له: إنّ هذه
الرّسالة لم تكن مكتوبة للإخوان؛ بل للنّظام الخاصّ، وكانت نقطة فاصلة
بين الاثنين، فهذه العناصر كانت حريصة على تدريس تلك المناهج في
الجماعة كي يبقى باب العنف مفتوحاً؛ لذلك ستجد المنهج الحرّي لمُنير
الغضبان يحفل بالإشارات، وهو ما جعل العنف في البنية التّحتيّة ممكناً.

طارق البشيشي: أفكار الإخوان خيثة وفاسدة





حاوره: ماهر فرغلي
كاتب مصري

وصف القيادي الإخواني المنشق طارق البشبيشي أفكار جماعة الإخوان المسلمين بـ«الخيثة والفاسدة» وتشبهه في سلوكها «عصابات المافيا».

ورأى أنّ الصدام مع الجماعة في مصر كان «حتمياً» بعد ثورة يناير؛ لأنّها تنظيم «لا يعترف بالوطنية»، مشيراً إلى أنّ مستقبل الإخوان ليس بيدهم؛ لأنهم جماعة «وظيفية»، فمستقبل التنظيم مرتهنٌّ، وفق البشبيشي، بيد من يوظفونهم ويمولونهم ويراهنون عليهم في تحقيق أهدافهم في تفتيت الوطن العربي ونشر الفكر الإرهابي لغايات بسط النفوذ.

«حفريات» التقت القيادي الإخواني طارق البشبيشي الذي ارتقى في الجماعة حتى أصبح عضواً عاملاً وله دور رئيسي في محافظة البحيرة المصرية، إلا أنّ تحولات الثورة المصرية، وتطوّرات الحالة الإخوانية دفعته لإعلان استقالته من التنظيم، ليخوض بعدها صراعاً نقدياً مع العناصر النوعية، التي قرّرت السير في طريق آخر، وهو العمل المسلّح.

هنا نصّ الحوار:

*** أخبرنا عن كيفية التحاقل بتنظيم الإخوان المسلمين؟**

دخلت التنظيم الإخواني تقريباً عام ١٩٨٤؛ حيث كنت أحافظ على

” يعتمد الإخوان في تمويلاتهم على عمليات غسيل الأموال وإخفائها في أنشطة عادية تجارية وتحويلات بنكية بسيطة

الصلاة في المسجد الموجود بالحيّ الذي أسكن فيه بمنطقة شبرا بدمنهور، وتعرّفت على أحد الكوادر الإخوانية الماهرة في ما يسمى «الدعوة الفردية» (التجنيد)، واستطاع إقناعي ب صداقته، ثم دعاني لجلسة قرآنية في منزله، وكنت أيامها في الإجازة الصيفية للدراسة الجامعية؛ حيث كنت ملتحقاً بكلية الزراعة بدمنهور، وكنت في السنة الثانية بالكلية، وتوطّدت العلاقة، وطلب مني أن أدعو زملائي في الدراسة المقربين جداً مني لحضور الجلسة القرآنية في بيته، وفعلت ذلك، وبعد مرور شهرين أو ثلاثة أشهر قام بتسليمنا (مجموعة كلية الزراعة) إلى المسؤول عن النشاط الطلابي في الجامعة، وهو شخص خطير جداً، ويجيد السيطرة على العقول، وبدأت بعد ذلك في الانغماس أكثر بأنشطة الجماعة داخل الجامعة.

* هل تغيرت شخصيتك في البداية حين التحقت بالإخوان، على

سبيل المثال العزلة الشعورية؟

تأثرتُ بلا شك؛ حيث كنت من القلائل داخل التنظيم الذين يميلون للعمل العلني، لكنني كنت لا أحب مبالغاتهم في السرية، ولم أكن أميل إلى كثير من أدبياتهم مثل؛ تفسيرات سيد قطب للقرآن، أو حتى



تطرف حسن البنّا في مسألة الأحزاب السياسية والمرأة. وكنت أحبّ الفن والاستماع للطرب؛ باختصار كان لي قلبان، قلب إخواني وآخر مصري، كنت أقاوم بقدر الإمكان عملية العزلة الشعورية التي يصنعها التنظيم لأتباعه، لذلك اخترت أن أعمل داخل الجماعة في الأنشطة ذات الطبيعة الاجتماعية وليست التنظيمية السرية، مثل؛ أعمال نشر الدعوة (نشر فكر الإخوان) في المجتمع، وقسم البر، ثم استقرّ بي الحال للعمل بالقسم السياسي ما يقرب من ٢٠ عاماً، هذه كانت بعض ملامح شخصيتي وعلاقتي بالتنظيم.

*** هل ارتقيت في التنظيم فأصبحت عضواً عاملاً، أو عضواً بمجلس**

الشورى؟

نعم، كنت عضواً عاملاً، وهي أعلى درجة تربوية عندهم، وذلك منذ العام ٢٠٠٠ تقريباً، ثم بدأت الفروقات والاختلافات بوجهات النظر

” لم يكن البشيشي وهو منخرط في التنظيم يميل

إلى كثير من أدبيات الإخوان كتفسيرات سيد

” قطب للقرآن، وتطرّف حسن البنّا

بعد ٢٥ يناير ٢٠١١؛ حيث كنت أعارض حالة الجنون التي ضربتهم بعد زوال نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، إتهم كانوا يريدون السيطرة على كل شيء، وعارضتُ فتح مقرات علنية بصورة مبالغ فيها في كل شارع. كنتُ أقول لهم: لماذا لا تحترمون قلق الشعب المصري من الجماعة فهو لم يعتد بعدُ على وجود التنظيم بهذا الشكل مرة واحدة؟! كأنهم كانوا يصرون على صدمة الشعب.

حاولتُ أن أناقشهم وأخبرتهم لماذا لا تتدرّجون وتحترمون الوقت وتحرك الزمن؟! وكانوا يقولون لي يبدو أنّك لم تدرك ما جرى، نحن أكبر قوة على الأرض ولن نستطيع أحد إقصاءنا، ثم لماذا تتحفظ في الإعلان عن وجود التنظيم في الشارع.

ومن بدأ انتقادي لهم يزيد وقلقهم مني يزداد أيضاً، زادت الهوة خاصة الشعورية والنفسية بيني وبينهم، عارضتُ على صفحتي على «فيس بوك» بصورة واضحة وعلنية كثيراً من قراراتهم السياسية؛ خاصة التي تتسم بالرعونة، وإشعال الفوضى، ومهاجمة مؤسسات الدولة، لاسيما المؤسسة العسكرية والقضائية. تعرضتُ للتحقيق بسبب هذه الآراء أكثر

من مرة، وفي لحظة معينة كان عليّ الاختيار بين انتمائي لبلدي، وبين انتمائي للإخوان، فأنا مصري، وأحب أن أكون مصرياً مثل كل الناس، وهم يريدون مني أن أوافقهم على كل قراراتهم وسلوكياتهم السياسية التي تثبت أنّهم تنظيم فوق قُطري، لا يعترف بالوطنية المصرية، فتركّتهم وأصبحت بمرور الوقت من أشد أعدائهم عندما رأيت سفكهم لدماء المصريين، وخيانتهم لمصر، واستقواءهم بالقوى الدولية، وتشويهم للجيش، وكل المواقف التي فعلوها، أصبحت عدواً لهم؛ لأنّهم أصبحوا أعداء خطيرين لبلدي.

*** لماذا لم تختّر السير في طريق وسطي ما بين الإخوان وغيرهم، حزب الوسط، حزب مصر القوية لـ «أبو الفتوح»؟**

لأنني أعرف أنّ «أبو الفتوح» أحد رهانات التنظيم الدولي، وله علاقات كبيرة بالإخوان في الغرب، لكن ما عطل صعوده وأضعف الرهان عليه هو استماتة إخوان مصر في معاداته وتحجيمه، وإضعاف موقفه في الخارج، خاصة في لندن.

أبو الفتوح نسج كثيراً من علاقاته الخارجية نتيجة عمله في لجنة الإغاثة الإسلامية التابعة لنقابة الأطباء، وأعتقد أنّه على علاقة بالمخابرات الإنجليزية والأمريكية، واستطاع أن يقنعهم أنّه أردوغان مصر، فكانوا يخططون لتصعيده إلى السلطة بعد انهيار نظام مبارك، لكن هذا الأمر لم يوافق عليه إخوان مصر، وأفشلوا هذا المخطط ثم فشلوا هم أيضاً.

* عطفاً على ذكر مبارك، ألم يساعد هذا النظام الجماعة في

التوغل والانتشار؟

في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي استغلّت الجماعة حالة الهدنة الطويلة بينها وبين نظام الرئيس حسني مبارك، فانتشرت كالنار في الهشيم في أرجاء مصر كلّها، وكوّنت تنظيمًا قويًا وأموالاً ضخمة، كان ذلك عن طريق وسائل متعددة مثل؛ التواجد في المساجد، والانتشار بين أوساط الطلاب في الجامعات، وحتى المدارس الثانوية، وفي مراكز الشباب أيضاً عن طريق السيطرة على بعض الألعاب الرياضية مثل؛ لعبة الكاراتيه وكرة السلة، وفي النقابات كذلك كانوا يعتمدون على مهارة كوادهم في الانتشار وتجنيده أكبر عدد ممكن من الأنصار والأعضاء، وكان قادتهم يقولون لنا: (الأستاذ مصطفى مشهور يوصيكم بالانتشار في كل بقعة، وعلى كل المستويات، ومع كل الفئات، فربما لا تعود مثل تلك الأيام). كنا لا نفهم كلامه لكنّه بحكم سنّه وتجربته يعلم بأنّ الصدام حتمي، وأنها فقط مسألة وقت.

* اهتمّت الجماعة خلال هذه الفترة بالتمويل فكيف كانوا

يتلقّونه؟

الإخوان تنظيم كبير ومتشعب في العالم، ويعتمد في تمويله على كثير من استثماراته في الغرب، وجميع أجهزة مخابرات الدول التي ينشط بها يعلمون ذلك، ويعطونه ضوءاً أخضر لتمويل فروع التنظيم، خاصة

” من يستخدم الإدارة الإخوانية في تفتيت المنطقة

وإضعاف دولها لن يترك الإخوان وسيظلّ

“

يدعمهم ويمولهم

في مصر، وكان من أهداف الجماعة التاريخية السيطرة على أحد البلدان الخليجية الغنية، وهو ما حدث بالفعل فسيطروا رسمياً على قطر وأموالها، ووظفوا تلك العوائد النفطية الضخمة في تمويل أنشطة التنظيم.

أما كيف يتلقون هذه التمويلات فهذا الأمر معقد ومتشعب ويعتمدون فيه على عمليات غسيل الأموال وإخفائها في أنشطة عادية تجارية، ويضخّون الأموال أيضاً بحسابات بنكية متناهية الصغر، حتى يصعب متابعتها، وكثير من العاملين في الخارج المنتمين للتنظيم يرسلون الأموال لذويهم في مصر، لكنّ كثيراً من تلك الأموال هي أموال التنظيم يتم تسليمها لقيادات إخوانية بالداخل.

* ما تحدث عنه يجعلني أشبه التنظيم بعصابات المافيا أو

الماسونيين الجدد؟

نعم، فمرض الإخوان الرئيس هي فكرتهم المشبوهة وتحديدها للعصر والمستقبل، فهي فكرة تشبه أفكار الماسونية السرية التي تستهدف السيطرة على العالم، وتشبه في سلوكها عصابات المافيا، فكرة الإخوان غير

” سيطر الإخوان رسمياً على قطر وأموالها ووظفوا تلك العوائد النفطية الضخمة في تمويل أنشطة

” التنظيم

قابلة للمراجعة؛ لأنها تقوم على التنظيم السري، فلو قام فريق منهم بعمل مراجعات؛ أي تنفيذ الأفكار الرئيسية التي تقوم عليها الفكرة مثل؛ الأممية وشرعية وجود تنظيم سري داخل الدولة، ومسألة الخلافة، وغيرها من الأفكار الحاكمة. لو قاموا بمراجعة وتنفيذ هذه الأفكار فلن تكون هناك جماعة الإخوان؛ أي ستتلاشى، وهم يعلمون ذلك.

*** هل راجعت الجماعة يوماً ما أفكارها؟**

لا توجد أي مراجعات لدى الإخوان لا في الماضي ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، فالفكرة خبيثة وفسادة، ولو أنّ المجرم قام بمراجعة سلوكه، فلن يكون مجرماً؛ أي سيترك العصاة التي كان يعمل بها.

*** هل هناك انشقاق بالفعل في التنظيم المصري بسبب الأفكار؟**

قصة الانشقاق بدأت بتكليف من مكتب إرشادهم ومجلس شورى التنظيم مع قرب قرار فض معسكر رابعة، فكلفوا محمد كمال بعمل تنظيم مسلح، لكنهم لم يعلنوا أنهم يريدون ذلك التنظيم، وكان ذلك من

باب توزيع الأدوار، لكن لا يوجد انشقاق أبداً عن الفكرة الإخوانية، ومن ترك التنظيم كان بصورة فردية، ومنهم من هو مؤمن بأفكار الإخوان، لكن يخاف من السجن، أو الهروب والتشريد. هناك بعض الانشاقات الحقيقية، لكنّها لا تعدو أن تكون حالات فردية لا ترتقي لأن تصبح ظاهرة.

* كيف ترى مستقبل الجماعة إذا عقب قرار العمل المسلح؟

مستقبل الإخوان ليس بيدهم فهم جماعة وظيفية، مستقبل الإخوان مرتهنٌ بيد من يوظفونهم ويراهنون عليهم في تحقيق أهدافهم، أدركُ أنّ من يستخدم الإدارة الإخوانية في تفتيت المنطقة، وإضعاف دولها لن يترك الإخوان، وسيظلّ يدعمهم ويموّلهم، مستقبل الإخوان مرهون بقدرة وفاعلية الدولة المصرية في تحجيم التنظيم وشلّ حركته وتفكيكه، ولو استمرّت الأمور في مصر على هذا الصدام، فسيضعف التنظيم تماماً، ولن تكون له قوة على الأرض، أو أي قدرة على التجنيد والانتشار، لكن هذا سيتطلب أعواماً، أمّا مسألة اللجان النوعية فهي من حماقة الإخوان المصاحب لتاريخهم، فرغم الفشل الذريع الذي مُني به حسن البنا في نهاية الأربعينيات بعد تكوينه للتنظيم الخاص المسلح، وانكشاف أمره، قاموا بتكرار حماقة نفسها في الخمسينيات، وكانت أبرز الأعمال محاولة اغتيال الرئيس جمال عبدالناصر في ما يعرف بحادث المنشية؛ حيث فشلوا، وتمّ القبض عليهم وإيداعهم السجن، وكرّروا الفعل نفسه في الستينيات عن طريق سيد قطب، وفشلوا أيضاً وأعدِم الرجل، والآن يكررون نفس

” البشبيشي: تركتُ تنظيم الإخوان وأصبحت من أشدّ أعدائهم عندما رأيت سفكهم لدماء المصريين وخيانتهم لمصر واستقواءهم بالقوى الدولية

ال فشل عن طريق لجانهم النوعية التي لن تستطيع أبداً مواجهة دولة بحجم مصر.

* ألا توافقني الرأي أنّ السلفيين لهم أهداف تاريخية للسيطرة على الدول؟

لا يوجد للسلفين تنظيم سري محكم مثل الإخوان. السلفيون ليست لديهم أهداف تاريخية للسيطرة على الدول مثل؛ أهداف الإخوان، فالعلاقة متوترة دائماً بين الإخوان والسلفيين، لكنّ الإخوان استطاعوا تشويه السلفيين وإضعافهم في مصر؛ انتقاماً لمساندتهم ثورة ٣٠ يونيو، وخريطة الطريق التي انبثقت عنها.

* كيف تقرأ مستقبل الإخوان بمصر؟

أتوقع حماقة إخوانيّة مستمرّة، وإصراراً من الدولة المصرية على تحجيم التنظيم. ولا أتوقع أيّ تراجع للجماعة، فهم تنظيم يقتات على

المظلومية وابتزاز مشاعر المجتمع، وبعض قياداتهم متغطرسة وشديدة العناد وتعشق السلطة والسيطرة بأي شكل.

كما لا يوجد أيّ انشقاق إخواني حقيقي، لكنها بعض الملامات على مواقع التواصل الاجتماعي، ومجموعة القيادي الإخواني محمود عزت تسيطر تماماً على ما تبقي من التنظيم، وتشرّد وتنتقم من لا يخضع له، وكثير من المعارضين تراجعوا مخافة الانتقام منهم وتشريدهم ومنع رعايتهم خاصة في الشتات.

*** هل ترى أنّ المشكلة الإخوانية لها حل عن طريق الطابع الديني والأزهر، على سبيل المثال؟**

المشكلة أساسها التراجع الكبير في ثقافة العقل العربي والمصري، حالة التخلف الثقافي، وانهيار التعليم، والانفجار السكاني، كلّها أوبئة تلتهم عقول الناس، أريد أن أقول إنّ المسألة أعقد بكثير من مجرد تجديد خطاب ديني، نحن نحتاج إلى ثورة ثقافية ننتظر القدر الذي يصنعها.

أما دور الأزهر فهو محدود وداخل دائرة التراجع الثقافي؛ لأنّ القائمين لن يخرجوا أبداً عمّا يعاينه العرب والمسلمون والمصريون من معوّقات ثقافية وفكرية، وهذا الكلام ينطبق أيضاً على الإعلام.

هيثم أبو زيد: «الإخوان» أخطر على الأمة من «داعش»





حاوره: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

تضرب التنظيمات المغلقة على كيائها سياجاً حديدياً محكماً، فلا يطفو على السطح منها إلا ما خفّ وزنه، وتظل أسرارها وخبايها قابعةً في أعماقها، لا يقترب من فهمها إلا من أصرّ على اقتحام حصونها، أو من عاش تجربته داخلها ثم خرج منها، ولا تسمح جماعة الإخوان لعامة الناس بالاطلاع على لوائحها الداخلية، أو مناهجها التربوية، أو أهدافها المرحلية، أو سبل نيل عضويتها، أو آليات التصعيد للمواقع القيادية داخلها، ما يجعل محاولات إدراك «الحقيقة البنيوية» للجماعة مهمةً صعبةً على الباحثين في شؤونها.

لقد أثارت دعوات المصالحة مع جماعة الإخوان، وإعادة دمجها في الحياة السياسية، جدلاً واسعاً حول حقيقة موقفها من العنف، وإصرارها على العمل السري، بعيداً عن رقابة الدولة، وطرحت الحالة الجدلية عدداً من علامات الاستفهام حول الموقف الحقيقي للجماعة من تداول السلطة، ومدى قبولها للتعايش، سياسياً ومجتمعياً، وفق أسس الديمقراطية والدولة الحديثة.

إنّ الاطلاع على المناهج التربوية للإخوان كفيلاً بكشف جزء كبيرٍ ومهمٍّ من أهداف الجماعة ووسائلها، وأساليب تعاملها مع المجتمع والسلطة،

وأجهزة الدولة، والقوى السياسية، وقادة الفكر والرأي، والمنشقين عنها، والجماعات الدينية الأخرى، ونظرتها الحقيقية لكل هؤلاء.

«حفريات» حاورت هيثم أبو زيد، الباحث في شؤون الجماعات الإسلامية، للاقتراب من المكونات الداخلية لهذه الجماعة، لنصل إلى الإجابة عن سؤال: هل تصلح هذه الجماعة للعودة إلى الحياة السياسية أو الاجتماعية من جديد، أم لا حلّ معها سوى الإصرار على القضاء على وجودها تماماً؟

هنا نص الحوار:

*هل يمكن أن تتجه جماعة الإخوان المسلمين لحلّ نفسها في المستقبل للخروج من مأزقها الحالي، أم تتعلّق فكرة التنظيم بوجودها ذاته؟

لن يفعلوا ذلك؛ فجماعة الإخوان تؤمن إيماناً راسخاً بالتنظيم، ليس باعتباره وسيلةً ضروريةً توصلهم إلى أهدافهم؛ بل باعتباره مطلوباً لذاته، فالتنظيم جزءٌ رئيسٌ من الفكرة الإخوانية؛ بل هو الفكرة الإخوانية في حقيقتها، حيث تمتلئ مناهج الإخوان وكتبهم بكلّ ما يرسخ في نفوس الأعضاء من أهمية التنظيم، ووجوب الانضمام إليه، والحفاظ على وحدته، والطاعة لقيادته، ومقاومة أعدائه.

” تمتلئ مناهج الإخوان بأفكار التكفير، والنظر إلى المجتمع على أنه جاهليّ يحتاج إلى الجماعة ” الربانية لتردّه عن ضلاله

فالإخوان يدرسون في دورات تصعيد الأفراد، من مستوى المؤيد إلى مستوى المنتسب، وجوب العمل الجماعي من خلال التنظيم، ثمّ يستعرضون الجماعات العاملة على الساحة ليخلصوا إلى أنّ جماعة الإخوان هي جماعة الحق، وأنّ الانضمام إلى تنظيمها واجبٌ يأثم من لا يلتزم به.

***من أسّس لهذه القداسة، حسن البنا نفسه أم سيد قطب؟**

حسن البنا أول من أسّس لقداسة التنظيم؛ حين جعل الارتباط بالجماعة مشروطاً ببيعةٍ وقسمٍ يؤديه العضو، ليصبح بعدها ملكاً للجماعة، يبذل وقته وماله لأجلها، بل ويدفع روحه لنصرة لوائها. ثم جاء سيد قطب، وأعطى أهمية كبيرة لفكرة التنظيم، وضخّم من شأنه في نفوس أتباعه، وأكد ضرورة قيام «طليعة البعث الإسلامي» لتعيد الأمة الإسلامية، التي يرى قطب أنّ وجودها انمحي من فوق الأرض.



قداسة التنظيم

وأكد البنا مراراً ضرورة الانتماء لتنظيمه، والانخراط في صفوف جماعته، وعدّ الإخوان حائزين على كل مميزات الجماعات والدعوات، فقال في رسالة «دعوتنا»: «الإخوان دعوة عامة محيطية لا تغادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا أملت به وأشارت إليه».

كما أنّ البنا قسّم الناس إلى أربعة أقسام، بحسب موقفهم من الانتماء لتنظيمه، ووصف المنضمّ إلى جماعته، من قبل، بأنّه (مؤمن)، وألقى على من لم يحسم موقفه من عضوية الإخوان صفة (متردّد)، واختار لقب (نفعي) لمن أعرض عن جماعته بسبب عدم انتفاعه منها، وأما من أدار ظهره للإخوان، ورفض الانضمام إلى تنظيمهم، فهو- في نظر البنا- (متحامل) ينظر إلى الإخوان بمنظار أسود، ولا يرى الخير الذي تحمله الجماعة.

٩٩ تدبّر مناهج الإخوان يؤكّد أنّ العنف وسيلةٌ معتمدةٌ لدى الجماعة، يتربّي أعضاء التنظيم ٦٦ على انتظار لحظة مواتية لاستخدامها

*إذا كان التنظيم مقدّس، فهل السرية مقدّسة أيضاً؟

وأشدّ قدسيّةً؛ فهي ركنٌ أصيلٌ ومهمٌّ عند تنظيم الإخوان، لا يرتبط
بمرحلةٍ معيّنةٍ، ولا بظروفٍ طارئةٍ، فالجماعة عرفت السرية منذ إنشاء
مؤسسها حسن البنا «النظام الخاص؛ الذي اشتهر لاحقاً بـ «الجهاز
السريّ»، فقد أحاط البنا هذه القوة العسكرية الخاصة بقدرٍ كبيرٍ من
السرية والكتمان.

وبعد الضربة التي وجّهها النظام الناصري إلى الإخوان عام ١٩٥٤،
عقب محاولة اغتيال جمال عبد الناصر بميدان المنشية في الإسكندرية،
أصبحت الجماعة تنظيمًا سريًا، لا يعمل إلا في الخفاء، ولا يعرف أحد
الأسماء المكونة لهرمه التنظيمي.

ولأنّ الملاحقة الأمنية كانت ذريعة العمل السري للإخوان في العهد الناصري،
فقد كان من المنتظر أن تخرج الجماعة إلى النور في عهد الرئيس السادات، الذي
أفرج عن أعضاء التنظيم من القيادات والقواعد، وسمح لهم بالعمل العام في
المساجد والجامعات والنقابات، في مواجهة اليسار بشقيّيه؛ القومي والاشتراكي، إلا

أن القيادات المسيطرة على التنظيم تمسكت بالسرية، وبدأت البناء الإخواني من جديد، على أساس من الخفاء والعمل بعيداً عن النور.

توّصل مناهج الإخوان لأهمية السرية، وتفرد لها مساحاتٍ واسعة، وكعادة الإخوان دائماً، تزعم كتب المناهج أن السرية هي اقتداء بالرسول- صلى الله عليه وسلم- إذ عرفت دعوته في مكة مرحلتين: الأولى كانت سرية الدعوة وسرية التنظيم، والثانية عنية الدعوة مع استمرار سرية التنظيم.

ماذا يعني انتمائي إلى الإسلام؟

*هل أصّلت كتب الإخوان لنهج السرية أم ظلت منهجاً عرفياً متوارثاً حرصت الجماعة على عدم كتابته؟

تحدّثت كتب الإخوان عن ذلك، إلا أن تداولها ظلّ في إطار ضيق ومحدود، فيقول فتحي يكن في كتابه «ماذا يعني انتمائي إلى الإسلام؟»: «لا يجوز أن تكشف الحركة كلّ ما عندها من مخططات وتنظيمات، فليس في ذلك مصلحة على الإطلاق، بل إنّ ذلك يعدّ جهلاً بالإسلام، وتعريضاً للحركة وأفرادها لمكر الأعداء».

أما السوري منير الغضبان، مؤلف كتاب «المنهج الحركي»، فيتحدّث عن أهمية السرية، ويلحّ عليها في مواضع كثيرة من كتابه، فيقول: «لا بدّ

” يرى الغضبان أنّ الحركة الإسلامية مطالبةٌ بإتقان عمليات الاغتيال، وباختيار أهدافها ” بعناية، ومهمتنا أن نتقن هذا الفنّ

من المحافظة على سرية التنظيم، واختيار مركزٍ سرّي للتجمع بعيداً عن الأعين، يلتقي فيه الجنود مع بعضهم، ويلتقون بقياداتهم».

ويقول أيضاً: «على الحركة الإسلامية ألا تظهر كل أوراقها، اعتماداً على وجود مناخٍ ديمقراطي، وعليها أن تبقي رصيماً من أشخاصها، وتنظيمها، وحركاتها، ومراكزها سرّيةً، حتى لا تباد إن فكرت الجاهلية بالانقضاء عليها»، ولعلّ هذه الأسطر تلقي الضوء على مسألة «الخلايا النائمة» التي شاع استخدامها أخيراً، للإشارة إلى رجال الإخوان السريين في مختلف المواقع.

وفي فقرةٍ كاشفةٍ للإخوان وأساليب تعاملهم مع قوى المجتمع، يقول المؤلف: «لا شيء أقوى للحركة الإسلامية من أن تتعامل مع حلفائها وأعدائها ببلاهة ظاهرية، بحيث تعرف مخططاتهم، وتظاهر بجهلها لهذه المخططات»، ويضيف: «كما لا بدّ من أن يكون للحركة رجالها في صفوف العدو المحالف»، ومن اللافت هنا؛ أنّ المؤلف يؤكّد «البلاهة الظاهرية»، حتى مع حلفاء الجماعة وأصدقائها.

أما عن أهمية وجود جهازٍ معلوماتي سري للجماعة، فيقول المؤلف: «لقد ظهرت أهمية هذه القضية مع تجربة الحركة الإسلامية مع أعدائها، فضعف المخبرات لديها أدّى إلى اشتعال معركةٍ راح ضحيتها عشرات الألوف، نتيجة المعلومات الخاطئة التي وصلت للمجاهدين».

***هذا عن السرية والتنظيم، فماذا عن «مبدأ المرحلية» الذي تفتخر به الجماعة وتعدّه مستنداً لها يبعدها عن شبهة العنف والتغيير الآني؟**

«مبدأ المرحلية»؛ هو أخطر مبادئ الإخوان، وليس العكس، فهو أحد أهم ركائز جماعة الإخوان؛ بل الإطار الحاكم لتصرفات الجماعة وقراراتها وخطاباتها عبر عقود، وإدراكها يكشف تماماً طبيعة فكر الإخوان ونواياهم.

وتحت مظلة «المرحلية» تعطي الجماعة وعوداً تنوي نكثها، وتتعهد بالتزامات تنوي عدم الوفاء بها، ولعلّ اتفاق «فيرمونت» الشهير من أبرز مظاهر ارتكاز الإخوان إلى فكرة المرحلية؛ حيث ارتأت الجماعة، بعد صعود محمد مرسي وأحمد شفيق إلى جولة الإعادة في الانتخابات الرئاسية، ضرورة ترضية القوى السياسية والثورية، والاستجابة لمطالب تلك القوى، ما دام ذلك يصبّ في مصلحة التنظيم، وبمجرّد فوز مرسي تنصّلت الجماعة من كل وعودها.

المرحلة عند الإخوان

* لكن، ماذا يعني هذا المفهوم؟ وما الدليل عليه في كتب الإخوان

وتاريخها؟

مفهوم «المرحلة» عند الإخوان: هو أن يكون للجماعة خطاباً ومواقف تخدم تنظيمهم في مرحلة سياسية وزمنية معينة، حتى لو كانت هذه التصرفات ضارة بالصالح العام للمجتمع، وحتى لو كان هذا الخطاب يكذب على المخاطبين، وكتب الإخوان تعرف ما يسمى بـ «خطاب الاستضعاف»، و«خطاب التمكين»؛ فالأول يتسم بمودّة مصطنعة، وقبولٍ للآخر لا تظهر فيه الجماعة نواياها، والثاني: تكشف فيه الجماعة عن أهدافها ووسائلها دون خوف أو تردد.

وقد تحدّث سيد قطب في كتاب «معالم في الطريق» عن مبدأ المرحلة، وعدّه سمة من سمات الدين، الذي يحدّد لكلّ مرحلة وسائلها، من بدء ميلاد طليعة البعث الإسلامي، حتى مرحلة التمكين وإزالة الطواغيت، بتحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية.

وفي مواضع عدة من «معالم في الطريق»، يرفض قطب أن تهتم الحركة الإسلامية في مرحلة «التكوين» وبناء التنظيم بالإنتاج الفكري للفقهاء والمفكرين الإسلاميين، فقد عدّ هذا الإنتاج ليس له أيّة فائدةٍ أو نفعٍ ما دامت الأمة الإسلامية غائبةً، ومادام المجتمع المسلم القابل لحكم الله لا وجود له في العالم أجمع.



المرحلية عند الاخوان

أما كتاب «المنهج الحركي للسيرة النبوية» للإخواني السوري محمد منير الغضبان، فقد تحدّث عن المرحلة كما يفهمها الإخوان، وبيان واضح لا يحتمل التأويل الذي قد تتسبّب فيه لغة سيد قطب الأدبية، فكتاب الغضبان هو أكثر كتب الجماعة اهتماماً بفكرة المرحلة، وتأصيلها في نفوس أفراد التنظيم، واستخلاص شواهدا من العلوم الشرعية؛ بل هو يتجاوز هذا التأسيس الفكري إلى ضرب أمثلة عملية واضحة، تحذيتها الجماعة للتطبيق الحركي لفكرة المرحلة.

ولعلّ من أهم الشواهد التي نقلها من كتاب «الغضبان»؛ وصيته لشباب الجماعة أن يتعاملوا مع حديث قيادات التنظيم عن «عاطفة الوطن»، و«عاطفة الأمة» باعتباره اضطراراً فرضته المرحلة، وليس تبنياً حقيقياً لهذه الأفكار؛ حيث يقول المؤلف في صفحة (٢٢٤): «نودّ لشباب

الدعوة الإسلامية أن يدركوا هذا المعنى، ويفقهوه، حين يرون قيادة الدعوة، في مرحلة من المراحل، تبحث عن قاسم مشترك بينها وبين بعض أعدائها، لتجعلهم يقفون في صفها ضدّ عدو أخطر وأكبر، وحين يرون قيادتهم تقبل الحديث عن عاطفة الوطن أو عاطفة الأمة، أو يتحدثون عن الضعفاء من الفئات المظلومة، بحيث يمثّل القاسم المشترك نقاط لقاء مرحليّ مع هذا العدو ضدّ عدو آخر؛ لذا فيأتي أعدّ جماعة الإخوان أخطر على هذه الأمة من (داعش)».

***إذاً، المرحلة عند الإخوان مفهومٌ لصيق الصلة بإزدواجية**

الخطاب؟

لا شكّ في ذلك؛ فكتاب «المنهج الحربي» يكشف بجلاءً إزدواجية خطاب الإخوان، واعتمادهم كلاماً ومواقف علنيّة للاستهلاك المرحلي، فبينما تتحدث بعض القيادات في وسائل الإعلام عن عاطفة الوطن ومعاني الوطنية، يدرس أعضاء الإخوان في الأسر أنّ (الوطنية) فكرةٌ جاهليّة، وانتماءٌ أرضيّ ترفضه أممية الإسلام، كما تطلب المناهج من أعضاء الجماعة أن يتعاملوا مع هذه المواقف العلنية وكأنّها «تمثيليّة» تفرضها ظروف المرحلة.

كما يكشف النص أنّ حديث الإخوان عن «الفئات المظلومة والضعيفة» لا هدف له إلاّ استقطاب قوى سياسية، وإيجاد قواسم مشتركة

٩٩ من أهم الشواهد التي نقلها من كتاب «الغضبان»؛ وصيته لشباب الجماعة أن يتعاملوا مع حديث قيادات التنظيم عن «عاطفة الوطن»، و«عاطفة الأمة» باعتباره ٦٦ اضطراراً فرضته المرحلة

معها لمواجهة عدو آخر، فالجماعة تستريح، مثلاً، أن تتحدث عن حقوق العمال لإيجاد نقاط التقاء مع قوى اليسار، وتوظيف هذه القوى لمواجهة خصم أهم للجماعة، فإذا تحقّق للجماعة مرادها، توقف اهتمامها بالقضايا العمالية، وعادت للتعامل مع الحلفاء المؤقتين على أنّهم أعداء.

وكثيراً ما يؤكّد مسؤولو الأسر للأفراد أن يثقوا في قياداتهم، وأن يتعاملوا مع بعض التصريحات المعلنة من القيادة عن القبول بالديمقراطية، أو بوجود الأحزاب في الدولة الإسلامية، وكأنّها تصريحات للاستهلاك الوقتي، تفرضها «مرحلة» الاستضعاف التي تعيشها الجماعة، إلى أن تتمكن من الوصول إلى السلطة، والسيطرة على أركان الدولة. ولأنّ الإخوان لا يؤمنون بفكرة الوطن، ولا بمبدأ المواطنة، فإنّ مؤلف «المنهج الحركي» يطلب من أعضاء الجماعة ألا يأخذوا تصريحات القيادات في هذا الشأن على محمل الجد؛ لأنّها تصريحات تهدف منها القيادة التقارب مع بعض القوى لمواجهة عدوٍّ أهم وأخطر.

الخداع السياسي

* أنت، بهذا، تؤكّد أنّ كلّ ما قيل عن تطوّر منهج الإخوان فيما يتعلق بالنظرة إلى المرأة، والاعتراف بالديمقراطية، والتعددية، والتحالف مع الآخر السياسي، هو نوعٌ من الخداع المرحلي؟

نعم، لا أنسى حين عرفت الإخوان عام ١٩٨٧، بعد الانتخابات البرلمانية التي تحالفت فيها الجماعة مع حزب العمل، وخطر ببالي أن أسأل مسؤول الأسرة عن الانتخابات السابقة التي شارك فيها الإخوان بالتحالف مع حزب الوفد عام ١٩٨٤، وكيف قبلت الحركة الإسلامية التحالف مع حزب علماني ليبرالي يقبل بحكم الشعب، فأجابني المسؤول من فوره: إنّ بعض الإخوان وجّهوا السؤال نفسه للأستاذ عمر التلمساني، المرشد العام للجماعة وقتها، فأجابهم قائلاً: «مطيّة لم نجد غيرها فامتطيناها».

* تتوقف عند فكرة «القوة» ومدى رسوخها في فكر الإخوان، من خلال المناهج المقررة لتربية أفراد التنظيم، فهل تعدّ الممارسة العنيفة وسيلةً أصيلةً من وسائل النصر والتمكين عند الإخوان، أم إنّ الجماعة لا تعرف إلاّ الدعوة السلمية؟

إدراك الموقف الحقيقي للإخوان من استخدام القوة والعنف لفرض رأيهم السياسي، أو للتخلص من خصومهم، أمرٌ في غاية الأهمية، ليس للإحاطة بحقائق الماضي فقط؛ بل لإدراك سبل التعامل المناسب مع الجماعة مستقبلاً.

تمتلئ مناهج الإخوان بأفكار التكفير، والنظر إلى المجتمع على أنه جاهليّ يحتاج إلى الجماعة الربانية لتردّه عن ضلاله، من خلال العمل لإيجاد «الفرد المسلم»، و«البيت المسلم»، و«المجتمع المسلم»، و«الحكومة الإسلامية»، مع الأخذ بالاعتبار أنّ الإخوان لا يعدّون أيّة حكومة إسلامية، إلّا إذا كانت مكونة من أعضائهم، أو متحالفة معهم على الأقل، مفسحة المجال لحركتهم.

ورغم القدرة الكبيرة لقيادات الإخوان على إخفاء هذه الحقيقة، فإننا نجد أفكار التكفير في ثنايا كتابات مرجعيات الجماعة، بمن فيهم المرشد الأول حسن البناء، الذي قرّر في رسالة «دعوتنا» أنّ إيمان المسلم لا يكتمل إلّا بالانضمام لجماعته؛ بل إنّ الأصل العشرين من أصول «ركن الفهم» في رسالة التعاليم، يُوظّف عملياً للتكفير داخل الجماعة، رغم أنّ ظاهره يرفض إطلاق الأحكام على الناس إيماناً أو كفراً.

*** لكنّ المرشد الأول حسن البناء يقول: «لا تكفّر مسلماً أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما.. إلخ»، بماذا تفسر ذلك؟**

عند تدريس هذا الأصل داخل التنظيم، يستخدم الإخوان عبارة «وعمل بمقتضاهما» لإخراج من يشاؤون من زمرة المسلمين؛ فالجماعة تعدّ من لا يساندها في الانتخابات لم يعمل بمقتضى الشهادتين، وأنّه «مسلم بالطاقة».

أما سيد قطب، فقد أعطى للتكفير دفعةً كبيرةً داخل الجماعة، بل وخارجها، حتى أصبح كتابه الأشهر «معالم في الطريق» مرجع الجماعات التكفيرية والعنيفة في أرجاء العالم، فقطب يرى أنّ الإسلام لم يعد له وجود على الأرض، وأنّه من الواجب قيام طليعة بعث، تتنظم في تجمّع حركي لإعادة الإسلام إلى الوجود بإزالة الجاهلية، وإقامة حاكمية الله على الأرض.

وفي مقدمة «المعالم» يقول قطب: «إنّ العالم كلّه يعيش اليوم في جاهليةٍ، تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخصّ خصائص الألوهية، وهي الحاكمية». وفي الفصل الأول يقول قطب: «نحن اليوم في جاهلية، كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كلّ ما حولنا جاهلية؛ تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافةً إسلاميةً، ومراجع إسلاميةً، وفلسفةً إسلاميةً، وتفكيراً إسلامياً، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية».

ويرى منير الغضبان أنّ الاحتكام إلى القضاء في ظلّ دولةٍ غير إسلاميةٍ جائز شرعاً، ليس لأنّ النظام القضائي راضٍ؛ بل لأنّ «الاستفادة من قوانين الجاهلية أمر مشروع»، ويضيف أنّ على المسلم أن «يفرّق بين القنعة بنظام حكمٍ كافرٍ والاستفادة من نظام حكمٍ كافرٍ لحماية الدعوة وشبابها ورجالها»، ويعدّ الغضبان الديمقراطية «نظاماً جاهلياً، لكنّه أجدى للمسلمين من أيّ نظامٍ جاهلي آخر».

العنف المؤجل

*هل استدعت الجماعة «العنف المؤجل» بنظامها؟

نعم، فقد جاء خطاب قيادات الإخوان على منصّة اعتصام رابعة العدوية ليكشف أنّ مواقف الجماعة خلال الأربعين عاماً الماضية، بشأن إدانة العنف، والقبول بمدينة الدولة، والاحتكام إلى الإرادة الشعبية، لم يكن إلاّ خطاباً مرحلياً فرضته ظروف إعادة بناء التنظيم، فلما وقع الصدام الحتمي بين الدولة والمجتمع من جهة، وبين تنظيم الإخوان من جهة أخرى، كشفت الجماعة عن وجهها الحقيقي، وظهرت الأفكار التي تربّى عليها أفراد الإخوان في أحضان التنظيم لسنواتٍ طويلة.

وتدبّر مناهج الإخوان يؤكّد أنّ العنف وسيلةٌ معتمدهُ لدى الجماعة، يتربّى أعضاء التنظيم على انتظار لحظة مواتية لاستخدامها؛ بل إنّ الخطاب السائد داخل الأسر الإخوانية يرسّخ الأفكار العنيفة، باعتبار أنّ دولة الإسلام المنتظرة لن تقوم إلاّ بعد معركةٍ داميةٍ بين الحقّ والباطل، وهو ما اشتهر بين دارسي الإخوان بمفهوم «العنف المؤجل»؛ أي العنف حين يأتي وقته، وتقدر عليه الجماعة، ولا يكون له تبعات ولا حساب.

وكان المرشد المؤسس، حسن البناء، أول من أشار إلى اهتمام الإخوان بالقوة، فقال في رسالة المؤتمر الخامس: «إنّ أول مراتب القوة هي قوة الإيمان والعقيدة، ثمّ يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة

” المرشد المؤسس، حسن البناء، أول من أشار إلى اهتمام الإخوان بالقوة

الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوافر فيها هذه المعاني جميعاً».

ولا يخطر ببال أحد أنّ البناء يتحدث عن السلاح في يد الدولة؛ بل إنّه يصرّح بوضوح أنّ جماعته ستستخدم القوة متى استعدت لذلك، فيقول: «إنّ الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنّهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء، وسينذرون أولاً، وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها وتتأجها».

ولم يكتف البناء بالكلام العام عن القوة؛ بل حدّد مفهومه في إعداد الجماعة عسكرياً، فقال في الرسالة نفسها: «في الوقت الذي يكون فيه منكم — معشر الإخوان المسلمين — ثلاثمئة كتيبة قد جهّزت كلّ منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وجسماً بالتدريب، في هذا التوقيت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كلّ عنيدي جبار، فإنني فاعل، إن شاء الله، ألفوا الكتائب، وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب».



العنف المؤجل

وقد اختار البنا رقم ثلاثمئة كتيبة؛ لآته كان ينظم الإخوان في كتائب، عدد كلّ ولحدهٍ منها ٤٠ عضواً، فيكون إجمالي الكتائب ١٢ ألفاً، إعمالاً للحديث النبوي الذي رواه أبو داود: (ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة..)، فالبنا في نصّ كلامه، لم يغزُ العالم، لأنّ النظام الخاص الذي أنشأه لم يبلغ عدده ١٢ ألفاً من أقوياء الإيمان والتدريب.

***هل شرّعت الجماعة حقاً عمليات الاغتيال السياسي، عكس ما تدعيه الجماعة من أنّها كانت بريئة منها، وأنها وقعت دون إرادة مرشدها الذي اعتذر عن كلّ ذلك؟**

تحت عنوان «عمليات الاغتيال السياسي وأثرها في بثّ الرعب في صفوف العدو»، يقول الغضبان، في صفحة ٣٤٧: «إنّ من يستحقّ القتل

في حربه المسعورة على الإسلام، وليس هو مجال شبهة في هذا العداء، وأقدم شاب على قتله- دون إذن القيادة - فهو نصر للإسلام بظهر الغيب، فزعماء الطاغوت اليوم، الذين أشعلوا الحرب على المسلمين، هؤلاء يُتَقَرَّب إلى الله بدمائهم. ولعلّ من لا يعرف طبيعة الإخوان المرحلية، يتعجّب حين يجد الغضبان يشيد في كتابه بقتل الرئيس الراحل أنور السادات؛ الذي أخرج الإخوان من السجون، وفتح لهم مجال العمل العام؛ حيث يقول المؤلف في الصفحة نفسها: «ما فعله شباب الإسلام بالحاكم الذي تحدّى المسلمين في الأرض، فصالح عدوهم (اليهود) في يوم عيدهم، حين قتلوا هذا الطاغية إنّما غسلوا عار المسلمين جميعاً في أرض الكنانة، ونصروا الله تعالى ورسوله بالغيب».

أما عن أنسب وأفضل مَنْ ينفذ عملية الاغتيال، يقول الغضبان: «إنّ أقدر الناس على تنفيذ عملية الاغتيال أبعدهم عن الشكّ فيه، ومن يمتّ بقرابةٍ، أو صلةٍ رحمٍ، أو صداقةٍ، لهذا المجرم».

ويبيح الغضبان للحركة الإسلامية كلّ وسائل الخداع، كي تنجح في تنفيذ عملية الاغتيال المطلوبة، فيقول: «إنّ اتخاذ مظاهر الكفر، وإعلان الكفر، والنيل من الإسلام والمسلمين لتحقيق مثل هذه المهمة أمرٌ لا حرج فيه».

ويرى الغضبان أنّ الحركة الإسلامية مطالبةٌ بإتقان عمليات الاغتيال، وباختيار أهدافها بعناية، إذ يقول في صفحة ٣٥٣: «لقد حقّق الاغتيال

هدفه حين أحكمت خطته، ومهمتنا اليوم أن نتقن هذا الفنّ، ونحكمه، ولا بدّ من أن تكون عمليات الاغتيال هادفة، ومحققة لعنصر بثّ الرعب في صفوف المجرمين».

وفي الجزء الثاني من كتابه، يضيف الغضبان: «وكلّ ما من شأنه أن يقصم ظهر العدو، ويفلّ مقاومته؛ هو من حقّ الثائرين، سيان كان أهدافاً مدنية أو عسكرية، ولن يتراجع الطغاة عن طغيانهم ما لم يصابوا بأرواحهم، وحياتهم، وأموالهم، وأمنهم».

* استشهدت كثيراً بكتاب «الغضبان»، هل ترى أنّه كان مؤثراً في

العقل الجمعي لهذه الجماعة؟

ظلّ كتاب «المنهج الحربي للسيرة النبوية» مقررّاً على أسر الإخوان في مستوى المنتظم لأكثر من ٢٠ سنة، وكلّ القيادات الإخوانية، العليا والوسيطه، وجميع الأعضاء العاملين في الجماعة الآن درسوا هذا الكتاب، فقررة فقررة، وسطراً سطرّاً، وتعاملوا معه، ليس فقط باعتباره منهجاً معتمداً من التنظيم؛ بل باعتبار أنّ أفكاره ونتائجه كلّها مستقاة من السيرة النبوية، كما يجدر بنا أن نذكّر بأنّ المؤلف هو أحد أهم قيادات الإخوان المسلمين، بل إنّّه تولّى بالفعل منصب المراقب العام للجماعة في سوريا لمدة ستة أشهر عام ١٩٨٥.

هشام النجار: الفكر الداعشي حاضر في بنية جماعة الإخوان





حاوره: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

هشام النجار، كان واحداً من قيادات الجماعة الإسلامية المصرية، وأحد قيادات الهيئة العليا لحزبها البناء والتنمية، إلا أنه اختار الانزواء، وممارسة دور إصلاحي بالقلم، كتابة وبحثاً، وفق ما صرّح به في حوار لـ «حفريات». فضلاً عن شهادته التي رواها، حول انقلاب الصقور على الإصلاحيين في التنظيم الذي انتمى له فترة طويلة، والسيناريوهات «الكارثية» التي وصل لها التيار، وذلك العدد المحدود من القيادات والأعضاء، الذين التزموا بروح ومنطوق مبادرة وقف العنف وبفلسفة المراجعات، والسقوط الذي كان حليفاً للتنظيمات، والإفلاس الرسمي لمشروع الإسلام السياسي، رغم تبديل مواقعه ومقولاته المؤسسة لمنهجه، التي جاءت دون تغيير يذكر في بنية المشروع الأصلي.

وفيما يأتي نص الحوار:

* كنت أحد قادة الجماعة الإسلامية المصرية، واستقلت منها،

والآن بعد مرور هذه الأعوام كيف تراها؟

الجماعة تجني ثمار تحالفها «النكد» مع الإخوان المسلمين، وتنتظر

خطوة الحكم القضائي بحل حزبها، ونستطيع إجمال ما جنته من تحالفها في الآتي: خسارة وفقدان رموزها الإصلاحية، والبعض من مفكرها الكبار الذين آثروا الانسحاب والاستقلال، ومقتل قياديينها في صراعات داخلية وإقليمية فرضتها رؤيتها «الإخوان» وتحالفاتها، وخسارة موقعها في المشهد السياسي، على الرغم من أن الجماعة الإسلامية كانت تمتلك فرصة تاريخية لمعاكسة هذا المسار وتفادي تلك الآثار الكارثية؛ بل والتفوق على باقي الفصائل، لو كانت حسمت قرارها مبكراً، واتخذت مساراً مستقلاً مع البناء على إنجاز مبادرة وقف العنف، والمراجعات الفكرية التي أنجزها مفكروها الإصلاحيون.

*** هل تقصد أن ثمة «صقوراً» بالجماعة، مثل عبود الزمر وأسامة حافظ، هم من أوصلوها لتلك النتائج التي ذكرتها؟**

نعم، فدور قيادات الجماعة خلال السنوات الماضية كان كارثياً، وهو ما أوصلها لما هي عليه الآن، فهم بين مناور ومراوغ وصامت ومرتاح لما ترتكبه قيادات محسوبة على الجماعة من ارتباط كامل بالإخوان ومسارها التصادمي مع الدولة، والتحريض عليها، واقتسام الأدوار مع الإخوان؛ بحيث تتولى الجماعة الإسلامية مسؤولية المواجهة والتشديد في محافظات الصعيد، علاوة على أدوار قيادات الخارج الأكثر فجاجة وفداحة في إقامة تحالفات إقليمية مؤداها العداة والحرب على الدولة الوطنية المصرية، ولم يتحرك أي منهم لتدارك تلك السيناريوهات المدمرة، أو محاولة وقفها؛

بل كان البعض منهم في موقف مَن يوفر الغطاء السياسي وربما الشرعي والفقهي لتلك الممارسات.

* وماذا بالنسبة لمبادرة وقف العنف والمراجعات التي أجرتها

الجماعة؟

هناك عدد محدود من القيادات والأعضاء التزموا بروح ومنطوق مبادرة وقف العنف وبفلسفة المراجعات، وأعني أنّ المراجعات كان لها خطة ومنهج متصل وصولاً لمعالجة مجمل الإشكاليات الفكرية العالقة، بعد الاتفاق مبدئياً على ترك السلاح والتغيير بالقوة، ومن ضمن تلك القضايا التي أسميتها ملحقات المراجعة، أو الفصل الثاني منها الذي لا يقل أهمية عن فصلها الأول، قضية الحاكمية وتكفير الحكام والموقف من الديمقراطية والتعددية الحزبية، وقضية الخلافة، وقضايا المرأة، والثقافة والفنون، والموقف من التيارات الفكرية على الساحة، وكذلك الموقف من الإرث التاريخي للجماعة، وتصحيح العلاقة مع رموز الدولة السابقين، ومع التيارات السياسية القائمة.. هذه هي القضايا التي اضطلعنا نحن كإصلاحيين في معالجتها وخوض غمارها، وكتبنا فيها العديد من الدراسات والأبحاث، كان الهدف منها إتمام وإكمال ملف المراجعات الناقص؛ إذ ما قيمة وقف العنف مرحلياً وتكتيكياً وهناك بذرة تكفير وغلو وتشدد كامنة في الأذهان والعقول، وقابلة في أية مرحلة لكي تكبر وتترعرع وتحمل مجدداً خنجراً ومسدساً.

” فرض العزلة على الجماعة الإسلامية كان نتيجة لتطور الأحداث في غير صالح الإسلاميين في مصر وسورية وليبيا وليس لخيار اتخذته “

* كيف ترى أداء قيادة الجماعة الإسلامية بعد خوضها للعمل
السياسي الحزبي لأول مرة في تاريخها عقب الثورة المصرية؟

لقد خاضوا غمار السياسة ودلفوا إلى مشهد الأحداث والفضاء العام
وجماعتهم محملة بإشكاليات فكرية لم تُنقد، ولم تُصحَّح، ولم تُعالج،
وهو ما أدى لما حذرنا منه؛ فمارسوا التحريض على العنف والتكفير السياسي
والديني، وأسهموا في التآجيج الطائفي، وتحالفوا مع جماعة الإخوان المقيمين
في قطر، بما يحمله هذا الحلف من مسارات رجعية، تنقل الجماعات من



” لا ترغب الجماعة في فقدان ما تتوهمه من رصيد

لدى أنصارها بصورة الجماعة التصعيدية

“

العنيدة التي لا تتراجع

إرهاب إلى إرهاب، فهو يجعلهم مجرد ماجورين ضد دولتهم لحساب قوى خارجية تدفع لهم، وأكثر من ذلك فقد مارسوا نوعاً من التشيع السيّ، فحملوا لواء الحكومة الدينية، والرئيس المقدس، وصورة مستنسخة من نموذج دولة المرشد، والحاكمة الإلهية في دفاعهم الأيديولوجي الأعمى عن حكومة الإخوان، علاوة على الدخول في تحالفات خارجية مناهضة لأمن الدولة المصرية، ومهددة للأمن العربي.

* هل كان خروج الجماعة عن الخط الإصلاحى، هو ما دفعك

ومعك قادة كبار مثل ناجح إبراهيم، وكرم زهدي لهجرها نهائياً؟

الجماعات كلها خرجت عن الخط الإصلاحى، وإصلاحىو الإخوان هجروها واستقلوا عنها، وعلى رأسهم محمد حبيب ومختار نوح وثروت الخرباوي..، وإصلاحىو الجماعة الإسلامية هجروها، واستقلوا بأفكارهم التقدمية المتطورة التي لم يستوعبها التنظيم ولم يتقبلها.. الفكرة هنا أنّ التيار الإصلاحى هو من ترك التنظيمات والجماعات ونفر منها مبكراً قبل وقوع كوارثها، التي تنبأ بها رموزه؛ لأنهم كانوا أكثر الناس دراية بالأخطاء المنهجية التي ستؤدي بدون ريب إلى السقوط، وسيظلّ السقوط حليفاً

للتنظيمات ما بقيت هناك تنظيمات وجماعات؛ فمجرد وجودها خطيئة وعامل فشل وهزيمة متواصلة.

*** ألا ترى أن الخط الإصلاحي بعيد تاريخياً عن الجماعات والتنظيمات، وانفصاله حديثاً عنها لم يكن خارج سياق تسلسل الأحداث منذ إحيائية محمد عبده إلى اليوم؟**

هذا صحيح، وقد امتلك قادة التنظيمات الأتباع الذين أطلقوهم لينالوا من الإصلاحيين، كما امتلكوا المال الملوث الذي اشتروا به الولاءات، فنال الإصلاحيون ما نالوه من تحريض وتهديد وهجوم وتكفير، لكنهم ظلوا هم الأنبل على الإطلاق فلم ينجروا في مساجلات سطحية، ومعارك وهمية محسومة الفشل، وظلوا على رصانة طرحهم ونبل أخلاقهم، حتى بينت الأحداث صدق وتماسك أطروحاتهم وقناعاتهم الفكرية.

*** نشعر أنك فقدت الأمل في خروج الجماعة من المنطقة الضبابية في هذه المرحلة؟**

حقيقة موقف الجماعة أنها اختارت السير في طريق الانفصال عن الدولة ومؤسساتها منذ البداية، سواء بالتحالف مع الإخوان، أو بالتحالف مع الخارج، وتبنيها مواقف حادة ضد المؤسسات والتيارات والرموز الفكرية والسياسية، أو بانعزالها عن المشهد السياسي بعد إسقاط حكم الإخوان، وفرض العزلة



عليها كان نتيجة لتطور الأحداث في غير صالح الإسلاميين في مصر وسورية وليبيا، وليس خياراً للجماعة؛ فالضعف العام الذي حلّ بالإسلام السياسي ألزم الجماعة السكون فيما يشبه الهدنة ريثما يجدّ جديد، أو يحدث حادث من الخارج أو الداخل، يعيدها للمشهد، ويضعها في الموضع الذي تحلم به دون مجهود منها، بمعنى أنها عاشت وما تزال مرحلة انتكالية لكونها لا تملك ترف الفعل، ولا ترغب في فقدان ما تتوهمه من رصيد لدى أتباعها وبعض «المطبلين» لها، على خلفية ما رسموه لأنفسهم من صورة الجماعة الصعيدية العنيدة التي لا تتراجع.

*** وماذا بالنسبة لقيادات الخارج؟ أما زالت هي من تسيطر وتحرك**

المشهد؟

الانتخابات قبل الأخيرة أثبتت بالفعل أنّ الجماعة تعيش في أوهاام

” من لا يقبل التطور والتقدم للأمام محكوم عليه وفق سنن التاريخ والواقع بأن تتجاوزها الأحداث

قيادات الخارج، فطارق الزمر، على سبيل المثال، سعى لأن يظل في المشهد، قاصداً أن يكون جزءاً من المساومة في سياق صفقة تنازلات توهمتها الجماعة، بمعنى أنّ الجماعة في وارد تقديم تنازلات مستقبلية ولو كانت شكلية فيما يتعلق بالتحالف مع الإخوان بعد موته سريراً، وهذا تطلب إقحام الزمر في رئاسة الحزب مع إدخال محمد شوقي الإسلامبولي الهيئة العليا، ليصبحا داخل مشهد الصفقة، كأنهم يقولون للدولة سنتنازل لكن مقابل قياداتنا بالخارج وبالطبع من في السجون، والدولة لا تقبل هكذا ألعيب، لذا فقد تركت أمر حزب الجماعة للقضاء، لكن الخلاصة المهمة أن هناك على الساحة كيانات جامدة حد التّخشب، لا تقبل التطور والتقدم للأمام، وهي محكوم عليها وفق سنن التاريخ والواقع بأن تتجاوزها الأحداث.

* برأيك ألم تتقل مراجعات عاصم عبد الماجد الأخيرة، وهو من قيادات الخارج المقيمين بقطر، والـ٢٦ حلقة التي نشرها بعنوان «الامة قبل الجماعة»، الجماعة إلى منطقة مراجعات وإصلاحات جديدة؟

لا مطلقاً، فبعد الإفلاس الرسمي لمشروع الإسلام السياسي يرغب عبد

٩٩ مجمل ما طرحه عاصم عبد الماجد في حلقاته

«الأمة قبل الجماعة» مسروق من محاضرات

٦٦ الدكتور ناجح إبراهيم ومقالاته

الماجد من وراء مناورته تلك امتصاص صدمة السقوط المدوي لتيابه، فهو فقط يرتق الفتق، ويبدل مواقع المقولات المؤسسة لمنهجه، ويناور بزعم تعديل المسميات والعناوين، دون تغيير يذكر في بنية المشروع الأصلي، وهي بمثابة مراوغة خبيثة خوفاً وتحسباً من وصول الوعي للجماهير بضرورة الفصل بين التبرير السياسي والغطاء الديني، واستباقاً لتمكين من يقدر من المفكرين على تفريغ العناصر السياسية ومحاورة الشواغل الدينية، وهو ما من شأنه إظهار فداحة ما ارتكبه الإسلام السياسي وجماعته باسم الصحة السياسية المزعومة للإسلام، وما لا يعلمه كثيرون أنّ مجمل ما طرحه عاصم عبدالمجد مسروق بالكامل من محاضرات الصديق الدكتور ناجح

إبراهيم ومقالاته خاصة المنشورة قبل ثورة ٢٥ يناير، وأيضاً الكثير من مقالاتي القديمة، وكنا قد طرحنا تلك المعالجات الفكرية بإسهاب في دراسات ومقالات منشورة قبل سنوات، خاصة في قضايا الأمة قبل الجماعة، وتفكيك وحل الجماعات، وقضية الوسع المجتمعي واعتبار الأولويات.. الخ.

* إذن ما هدف عبد الماجد من «المراجعات» التي طرحها؟

٩٩ يعيد الإسلامويون إنتاج أنفسهم جماهيرياً بعيداً عن الأطر التنظيمية حتى لا يقعوا ضحية للتفاعلات الفكرية التنويرية التي ستفرض نفسها

هو أيضاً لم يلجأ لما يسميه مراجعات جديدة إلا بعد وقوع الكارثة وبعد الانهيار التام، لذا فهو يوظف تلك الأفكار والمناهج تكتيكياً لغرض الانحناء للعاصفة وعبور الأزمة، ريثما يستعيد الإسلام السياسي حضوره الجماهيري، ويعيد ترتيب أوراقه وصولاً لاستعادة هيكله التنظيمية التي تفككت، أما طرحنا نحن تلك الأفكار من قبل فقد جاء في سياق خيارات استراتيجية دائمة، ومناهج ذات قنوات فكرية وواقعية غير مرتبطة بأزمات ولا تكتيكات ولا مناورات سياسية، وغير موظفة لمصالح تنظيمات ما، فقد طرحناها بالسابق قبل وقوع الأزمات وقبل حتى صعود وانخراط الإسلام السياسي في مشهد الأحداث.

*** ولماذا ثمة من أتباع الجماعة الآن من يهللون لما يكتب رغم
أنكم سبقتموه من قبل؟**

هذا من أعجب ما رأيت في حياتي، وما يثير بالفعل الشفقة والرتاء بما يعكسه من حال مزرٍ للأتباع؛ فعاصم وصفوت والزمير ومن معهما انقلبوا على الدكتور ناجح إبراهيم والتيار الإصلاحية، وحرصوا أعضاء الجماعة

للهجوم على الرجل بسبب تبنيه هذه الأفكار ونشرها، ليدل أبناء التيار الإسلامي وقتها على المسار الصحيح، ثم لاحقاً بعد السقوط والانهيال يقتبس عاصم

منها ويروج لها أنها من بنات أفكاره لأغراض معروفة، بعد تسببه ومن معه في الكوارث والمصائب التي يعلمها الجميع، ورغم ذلك يهملون ويصفقون له ويقولون له فتح الله عليك يا شيخ!

*** هل تتفق مع من يذهب إلى أنّ نظرية التغيير الفوقي والتحتي هي التي أصلت الجماعة الإسلامية، وهي مأزق كل التنظيمات حتى الآن؟**

نعم، من اللافت أنه في الحالات الطبيعية والعادية وحال الانفراجات وإتاحة مجالات من الحرية لهذا التيار، فهو يفكر تلقائياً في السطو على السلطة بغرض التغيير الفوقي، والعكس يحدث عند وقوعها في الأزمة أو ما تسميها هي «المحنة» فتلجأ ساعتها للجماهير والعمل من خلال التوسع في أوساط القاعدة الشعبية بقصد أسلمتها أولاً، وحالياً يجد منظرو التيار الإسلام السياسي في سقوطهم وانكشاف إفلاسهم بداية لانقلاب جماهيري على تلك الحالة برمتها، خاصة بعدما تبين أن هؤلاء قد استغلوا العاطفة الدينية وما تفتش من جهل وأمية دينية وثقافية في مرحلة من المراحل لخداع الملايين، وتؤكد تلك الرؤية مع تنامي الوعي السياسي والفكري لدى الشعوب وهو ما يمنح حركة التجديد الديني الاستقبال الشعبي الحسن الذي لم تحظ به

من قبل، لذلك يعيد الإسلامويون إنتاج أنفسهم جماهيرياً من جديد بعيداً عن الأطر التنظيمية، أملاً في ألا يكونوا هم الضحية الكبرى للتفاعلات الفكرية التنويرية، التي ستفرض نفسها على الواقع خلال السنوات المقبلة.

*** بعيداً عن الجماعة.. هل تتوقع أن يقوم الإخوان بعمل**

مراجعات مماثلة؟

لا بالطبع وهذا من سابع المستحيلات، فهو يعني عند الإخوان وقيادتهم إعلاناً رسمياً بالهزيمة والاستسلام، علاوة على كونه إعلاناً بمسؤوليتهم الكاملة عن النتائج التي تسببوا بها، بداية من العمالة للخارج، ولقوى إقليمية غير عربية، مثل إيران وتركيا، تهدف للتوسع على حساب النظام العربي التقليدي، مروراً بتدمير بلاد عربية بكاملها واستتباعها لهاتين القوتين، بالإضافة

لاستفادة قطر من ذلك، وما تخلل ذلك من قتل وتشريد وسفك للدماء لملايين من العرب والمسلمين وزعزعة استقرار الدول العربية والخليجية.. فضلاً عن أنهم لا يمتلكون جرأة وشجاعة الاعتراف بالذنب وإعلان المسؤولية عما ارتكبوه.

*** وما ردك على من يدعي أنّ أفعال «داعش» أسهمت في سقوط**

الإخوان؟



تنظيم داعش أفاد الإخوان وكذلك القاعدة في مرحلة من المراحل، لكن السقوط الكامل لم يكن بسببه وحده، إنما بإسهام من الجميع، وجميع هذه الفصائل بنظري وداعش وكانوا سيقومون بما قام به داعش لو تهيأت لهم ظروفه في العراق وسورية، لكن مصر لم تسمح للإخوان في مصر، ولو كانت تركت لهم الفرصة لشهرين فقط لتحولوا لنموذج داعش تلقائياً، وهو ما حدث تحت الأرض بعد السقوط، وهو ما يعني أن الاستعداد للحالة الداعشية حاضر في بنية مختلف هذه الجماعات وعلى رأسها الإخوان التي انطلق منها هذا الفكر وإليها يعود.

* هل ستؤدي أزمت الإسلام السياسي إلى تراجع الإسلام الثوري

لصالح الإسلام الاجتماعي الإصلاحية؟

البعض من منظري الجماعات الآن يغازلون الناس حالياً تحت عنوان

” الإخوان لا يمتلكون شجاعة الاعتراف بالذنب

” وإعلان المسؤولية عما ارتكبوه

«الأمّة لا الجماعة»، يُفهم أنّ الخلل لم يكن في المنهج إنما في الأدوات والإمكانيات، وأنّ الفكرة تحتاج لزخم شعبي لا لأفكار ومناهج بديلة، بمعنى أنهم يحاولون إعادة الكرة من جديد، لكن بتخفيف الإسقاطات الأيديولوجية، واستبدالها بتوظيف المعاناة الاقتصادية والاجتماعية للشعوب، أما ما يطلق عليه الإسلام الاجتماعي الإصلاحية فهو ما تتبناه فعلياً التيارات العلمانية ذات الطرح المتوازن التوافقي، وهي الامتداد الطبيعي لتوافقية محمد حسين هيكل والعقاد والمازني.. ، لكن هذا التيار لم يأخذ فرصته كاملة بعد، وأتوقع أن يأخذها خاصة بعد سقوط التيار الذي كان يشوهه ويكفره، بغرض المزايدة الدينية ولاكتساب مشروعية حضور في المشهد.

* ألم تكن تحولات إسلامي تونس والمغرب مؤشراً على ما

سيحدث بمصر مستقبلياً؟

أعتقد أنه قد آلت كافة المزايدات والمعالجات السطحية التي راهن عليها منظرو الإسلام السياسي إلى الاندثار بسبب هشاشتها الفكرية، وهو ما ظهر في تجربة الحركات الدينية في المشرق العربي خاصة في مصر وسورية وليبيا، ولن تزول الأصوليات الرجعية إلا بنهوض البديل والمعادل الفكري، ومن ثم ترجمته سياسياً واجتماعياً عبر نظام ديمقراطي قائم على الاعتراف

٩٩ الاستعداد للحالة الداعشية حاضر في بنية

مختلف الجماعات وعلى رأسها الإخوان

٦٦ التي انطلق منها هذا الفكر وإليها يعود

بالآخر، أياً يكن معتقده أو انتمائه السياسي أو الإثني واللغوي، ومع إنجاح المشروع بنهضة اقتصادية واجتماعية وإدارية منطقية التحقق وفق الفلسفة المدنية المبنية على التخصص وتكليف الأكفاء، ستتضح الفوارق الهائلة، بين مقولات فقهية تبسيطية توظف النص الديني لتحقيق مآرب سياسية عابرة، ومشروع نهضوي راسخ وواضح المعالم ومحقق للمصالح الفردية والجماعية وفق رؤى وحلول واقعية، وأرى أن النموذج المغاربي أقرب لتحقيق تلك المعادلة وإنجاحها، بالنظر لمقاصدية الفكر واعتماده على أطروحات فكرية وفقهية متطورة مستقاة من فقه الإمام مالك.

* على هذا لإنهم غيروا خطابهم نوعاً ما وسقف أهدافهم؟

نعم، ومنظرو الإخوان ومراجعهم الفقهية كالقرضاوي وغيره واثقون من كون زمن الجماعات بشكلها التقليدي في مرحلة أفول، لذلك سيحاولون الظهور بعناوين وأشكال أخرى، وما يقومون به الآن مجرد محاولة لتجريب الظهور بخطاب أقل حدة فيما يتعلق بالجماهير والشعوب وليس الأنظمة والدول لامتناس غضبتها ولمحاولة خلق حاضنة وملاذ جماهيري، فضلاً عن تخفيض سقف أهدافهم مرحلياً حتى تمر العاصفة، ليتمكنوا من إبقاء أتباعهم قيد

” العنف سيستمر لكن ستخف حدته ريثما تعيد

مجمل فصائل هذا التيار بناء نفسها مستندة

إلى ما يُعرف بتوازن الضعف

طاعتهم وكي لا يؤدي تركهم للساحة إلى تغييبهم بشكل كلي ونهائي.

* هل تعتقد أن المنطقة ستشهد موجة عنف كبيرة لا علاقة لها

بما يحدث من تطورات في الحالة الإخوانية؟

يجري حالياً تقريب فكري بين «داعش» و«القاعدة» من جهة، و«القاعدة» و«الإخوان» من جهة، تزامناً مع نداءات حل التنظيمات والجماعات القائمة وتعديل أساليب التعاطي مع عامة الناس، بشكل يجعل التجنيد أكثر مرونة دون التقيّد بالقواعد التنظيمية القديمة، وهو ما يفسر الانشقاقات داخل «داعش» وظهور التيار الحازمي وانتشاره، وجميعها مؤشرات لمرحلة جديدة في عمر الجماعات توحى بتحول أولي لتفكيكها، لكن ليس لإنهاء وجودها، إنما لتجميعها في كيان أوسع يدار من الخارج، يعوض الهزائم الكبرى التاريخية التي منيت بها فصائل الإسلام السياسي.

ومن المؤكد ظهور تنظيمات متباينة في الغلو والتشدد، وهذا يعني أنّ العنف سيستمر لكن ستخف حدته، ريثما تعيد مجمل فصائل هذا التيار بناء نفسها وخلق هياكل جديدة، مستندة إلى ما يعرف سياسياً بتوازن الضعف، بالنظر إلى أن ضعف هذه الفصائل مجتمعة سيقودها بشكل أو

بآخر للتوحد والتكتل على الأقل مرحلياً لمواجهة ما تراه هي تحديات
مشتركة.

* كيف تقرأ ما يجري في سيناء؟

هي معركة عبور جديدة للجيش المصري، وما حدث من إنجاز
تاريخي ضد جماعات مدربة ومسلحة على أعلى مستوى، تدار وتمول من
خلال أجهزة أمنية لدول غربية وإقليمية، يضاف لإنجاز حرب أكتوبر، فمصر
انتصرت في المعركتين، ونصر مصر في هذه المعركة ليس لها وحدها إنما
للعرب جميعهم؛ لأنه بمثابة إنقاذ للأمة العربية من السقوط في سيطرة
إقليمية إيرانية تركية قطرية برعاية من دول غربية مستفيدة.